الحال

توزع مجاناً

«الحـال» - العدد الرابع والثمانون - السنة الثامنة
تصدر عن مركز تطوير الإعلام/ جامعة بيرزيت منذ عام 2005
home.birzeit.edu/media

جزيرة الكنز

للسفينة ربان واحد، وفيها أكثر من مساعد ربان، وبدلاتهم ملونة بألوان أعلامهم.

وفي السفينة أيضًا بوصلة يعرف الجميع وجهتها. لكن البوصلة اختفت، وبقيت أطلال التغني بها والاختلاف عليها. قالوا عنها الهوية وقالوا عنها الروح. أضاعوها وبقيت لهم ذكريات الحرم القديم ووهم أنهم المميزون.

عامة القدماء من جنود البلاد والبلاط عرفوا أن السفينة تسعى للوصول إلى جزيرة الكنز، فكان كل من به طموح نحو الانتصارات وبطولات الصف الأول والوزارات أحيانًا؛ يقصد السفينة، فهي ملاذ تحقيق الذات. إلى أن أتى يوم ركبها فيه السياسيون الجدد، فتآمروا وكولسوا وتشلشلوا، وكل الظن أنهم مسؤولون عن إضاعة البوصلة.

فتيان الحماسة الوجلون يظنون أن الخمسة عشر أمينًا سيستنهضون يومًا ويأتون يشقون الغبار ممتطين أحصنتهم الأصيلة لإنقاذ السفينة.

وأنتم، ماذا تظنون؟ وماذا تنتظرون؟

حسم الربان؟

ربما.

رئيسة التحرير

«الـحـال» - الثلاثاء 2012/6/5 م- الموافق 15 رجب 1433 هـ

16 صفحة

التطبيع الإعلامي يثير نقاشات حادة في أوساط الصحافيين — صفحة 2

والدة أربعة أسرى: يا مريم القديسة صلي لأجلنا — صفحة 7

الفلاحون يستيقظون على «زوامير السيارات» عوضًا عن صياح الديك — صفحة 10

فالنتينا أبو عُقصة: السينما والمسرح والدراما حرّضت على انتفاضات العرب — صفحة 14

حكومة فياض الجديدة: مؤقتة.. أم مؤقتة دائمة؟

محمد مرار

ثلاثة أسابيع مضت على أداء حكومة فياض الجديدة اليمين الدستورية. وبعد بضعة أيام على ذلك، أعلن في القاهرة التوصل إلى اتفاق مصالحة جديد، بدأت لجنة الانتخابات بموجبه عملها في غزة، ويفترض أن تتوج هذه الجهود بحكومة يرأسها الرئيس محمود عباس، مهمتها الرئيسة الإعداد للانتخابات.

حكومة فياض «التكنوقراطية» الجديدة وجدت نفسها «مؤقتة»، لكن البعض رآها «مؤقتة دائمة»، لقناعة بأن المصالحة «ليست وراء الباب». وإذاك، دفع البعض لإعادة النظر في فكرة حكومة التكنوقراط، وتوجهاتها والمعنى السياسي الذي تحمله، وما هو مرجوٌ منها خلال فترة عملها.

التكنوقراط لا يبيح المحظورات

الكاتب والصحافي ناصر اللحام رأى أن تشكيلة الحكومة فاجأت الجميع، وهي غير معروفة سياسيًا ولا إداريًـا ولا حتى نقابيًا، منوهاً إلى أن حكومات التكنوقراط ليست بديلاً عن حكومة الوفاق، وأضاف: «كتبت سابقاً وقلت إن التكنوقراط لا تبيح المحظورات، بمعنى آخر أن الأكاديميين والمختصين الفنيين لا يستطيعون وحدهم بناء دولة، فالدولة تحتاج إلى أناس مؤمنين بالثورة ومؤمنين بالتغيير، وهذا يعني أنه لا بد من خطة عمل واضحة، وبرنامج واضح».

وتعقيبًا على فكرة «الحكومة المؤقتة الدائمة» التي بدأ يتم النظر إلى حكومات فياض على أنها كذلك، قال اللحام إنه من غير الطبيعي أن يتم القبول بحكومات مؤقتة بشكل دائم، وتابع «قال كيسنجر في بداية السبعينيات إن كل شيء معقد في الشرق الأوسط يصبح دائمًا، وبالفعل هذا ما يحدث لدينا، سواء في تشكيل الحكومات أو في استخدام الطرق الالتفافية وتشكيل اللجان، وحكومة التكنوقراط قمنا بتجربتها، وتعلمنا أنه لا بديل عن أن يصنع الناس التاريخ بأنفسهم».

أما المصاعب التي ستواجهها الحكومة، فقد أكد اللحام أن «هذه الحكومة سيكون كل شيء صعبًا عليها، فأنا لا أعرف إذا كانت ستكمل شهرًا أم لا، لأن من المفروض أن يعلن في 20-6 تشكيل حكومة الوحدة برئاسة الرئيس محمود عباس، لذلك، لم يجهد المحللون في الكتابة عن الحكومة لأنه ينطبق عليها المثل الشعبي «يا فرحة ما تمت».

برنامج الحكومة لم يصدر بعد

برنامج عمل الحكومة وما يتوقع منها شكل علامة استفهام وضعها كثيرون مبررًا للتساؤل عن جدوى التعديلات التي جرت عليها، وهل ستأتي بجديد أم أنها إجراءات شكلية لملء الفراغات الشاغرة في بعض الوزارات؟. هذه التساؤلات أجاب عنها الناطق باسم الحكومة د. غسان الخطيب قائلاً إن برنامج عمل هذه الحكومة لم يصدر بعد، لأن الوزارات المختلفة تعكف الآن على إعداد برامجها التي ستكون جاهزة خلال فترة قصيرة، لكنه أشار إلى أنه لا يتوقع أن يشكل برنامج الحكومة تغييرًا جذريًا عن برامج الحكومات السابقة، مشيرًا إلى أنها بشكل عام ستعمل على تعميق برنامج مؤسسات الدولة وتعزيز صمود المواطنين، بالإضافة إلى التركيز على نوعية الخدمات المقدمة للجمهور.

وعن الصعوبات التي ستواجهها الحكومة، قال الخطيب «أصعب ما ستواجهه هذه الحكومة موضوعان: الأول هو القيود الناجمة عن إجراءات الاحتلال الذي يضع عراقيل أمام النشاطات الحكومية خصوصًا في المناطق (ج) التي تشكل أكثر من 60 % من المناطق الفلسطينية. والأمر الثاني هو الانقسام وسيطرة حماس على قطاع غزة وما يترتب على ذلك من تبعات».

وبالحديث عن عمر الحكومة، قال الخطيب إنه غير معروف، لكن «الحكومة في بيانها الأخير دعت الفصائل إلى الإسراع في إنجاز اتفاق المصالحة حتى تستطيع أن تسلم المسؤوليات في أسرع وقت ممكن للحكومة الجديدة، لأنها تؤمن أن هناك مصلحة وطنية عليا في موضوع إنهاء الانقسام وتفوق أهميتها أي اعتبار آخر».

الحكومة باقية والمصالحة بعيدة

لكن عمر الحكومة بالنسبة للإعلامي عارف حجاوي لن يكون قصيرًا، فهو يرى أن «ما جرى تعديل وزاري فقط، أكثر من كونه تشكيل حكومة جديدة، كما يدل ذلك أيضًا على أن المصالحة بعيدة». وتابع حجاوي: «لو كان أبو مازن يعلم أن المصالحة قريبة وراء الباب لما شكل حكومة جديدة، وما صرح به الرئيس أن هذه الحكومة ستبقى فقط لحين تشكيل حكومة الوحدة كان من باب الأمل فقط، وباعتقادي الشخصي، فالمصالحة بعيدة جدًا». وعن تشكيلة التكنوقراط، قال حجاوي: «إن اطلاق هذا المفهوم على بعض الحكومات الفلسطينية أمر غير صحيح، لأنها دائما مسيسة، حتى لو كان العنصر الفتحاوي قليلاً، وذلك بسبب احتمالات المصالحة ولا أقول مصالحة، فالحكومة سياسية دائمًا ولكن ليس بشكل كامل. أما مفهوم حكومة التكنوقراط، فهو يعني أنها حكومة انتظار، بحيث يتم المجيء بالخبراء لكي يحكموا بالشورى، إلى أن يستوي الوضع السياسي»، ووافق حجاوي اللحام على أن حكومة فياض المؤقتة هي عبارة حكومة «مؤقتة دائمة».

تفاؤل حذر من الموظفين

الموظفون العموميون، هم المتأثر الأول بسياسات الحكومة وبرامجها، وأعلنت نقابة الموظفين العموميين سلسلة فعاليات نقابية، وتبادلت والحكومة الهجمات الإعلامية، وهو ما سيدفع الجميع لترقب كيفية العلاقة التي ستكون بين الحكومة والنقابات. بسام زكارنة نقيب الوظيفة العمومية قال: «حتى الآن لم يصلنا برنامج حكومي بشكل واضح ومحدد، ونحن ننتظر ممارسات الحكومة العملية الإيجابية، إذ إن هناك توجيهات من الرئيس بدعم المواطنين، ونأمل أن تعمل هذه الحكومة وفق هذه التعليمات، ونحن سنكون معها جنبًا إلى جنب، ولن نسمح أن تكون حقوقنا أو رواتبنا سيوفًا مسلطة على القيادة الفلسطينية».

ورأى زكارنة أن الوزراء الذين تمت إضافتهم وبعض الوزراء الذين بقوا هم من الكفاءات الفلسطينية، وأنهم عبروا عن احترامهم لنقابة الموظفين بشكل خاص، والعمل النقابي بشكل عام، مشيرًا إلى أن الحكومة في جلستها الأولى قررت تشكيل لجنة للحوار مع النقابات لإنجاز مطالب الموظفين.

مجرد كاريكاتير

عارف حجاوي

إخواني في باكستان، تحية طيبة،
تأخرت ست سنوات في الكتابة إليكم، وبعض اللوم يقع على مكتب بريد إسلام أباد المركزي.
تذكرون ذلك الكاريكاتير الدنماركي الرديء؟ وكيف غضبتم غضبة راح ضحيتها عدة أشخاص؟ وقد ساءني الكاريكاتير، وساءتني غضبتكم. وتذكرت الساخر الشهير جورج برنارد شو.
هذا الرجل قضى أربعًا وسبعين سنة يسخر من الإنجليز، وهم يضحكون ملء أشداقهم.
نحن العرب والمسلمين نحبه. ليس لأنه سخر من الإنجليز، ولكن لأنه كان عميق التفهم لروح الإسلام، ومعجبًا بالرسول، ولأنه شوى وجه الحكومة البريطانية أثناء حادثة دنشواي الإجرامية.
كان برنارد شو لاذعًا في نقده للكنيسة؛ نقدها في «جان دارك» وفي نصف مسرحياته؛ أستغفر الله، بل في ثلاثة أرباعها. ولكننا، أيها الإخوة في باكستان، لم نكرهه؛ رغم احترامنا الكبير للمسيحية. والغريب أن الكنيسة كانت تقرقر ضاحكة على سخريته منها.
والأغرب تلك الفرقة المسيحية التقية المسماة «جيش الخلاص». لقد سخر منهم برنارد شو في مسرحيته «ميجر بربارة». فماذا صنعوا؟ تبرعوا للمسرح بأزيائهم المميزة كي يرتديها الممثلون، وحضروا العرض المسرحي، وضحكوا مع الضاحكين.
على أن صاحبنا كان رقيقًا في نقده. يسخر وهو متفهم مشاعر الآخرين، ولا يسخر بازدراء.
حدث أن سخر في مسرحيته «السلاح والإنسان» من الجيش البلغاري «الذي انتصر بالصدفة المحضة». فغضب بعض الطلبة البلغار الذين يدرسون في فيينا، فبعث إليهم من لندن باعتذار مشفوع بتأنيب: أعزائي الطلبة؛ تحلوا بروح التسامح، وتعودوا قبول الرأي المخالف.
أعزائي الطلبة؛ «الغضبة للحق» عبارة معقدة. وخير منها عبارة «نصرة الحق». وأما الحق، فهو ابن عم السماحة. والواثق بنفسه يغضب قليلاً، وينشر ظل محبة على مخالفيه كثيرًا. ومن أجمل العبارات التي تتردد في الفقه الإسلامي عبارة: «أدب الاختلاف». نعم، قد اختلف الفقهاء إلى درجة «التبديع» و«التفسيق»، ولكن كبارهم كانوا يعرفون «أدب الاختلاف».
لنترك هذا الساخر الإيرلندي، ولنقصّ عليكم قصة عامل باطون.
ارتكب العامل غلطة كبيرة أفسدت الصبَّة، فناداه المقاول، وسلمه إنذارًا، مع حسم خمسة أيام من المرتب.
ذهب العامل إلى البيت، وعلى المائدة جلس صامتًا، فتلفظ ولده المراهق بكلمة بذيئة، فقام إليه وأخذ يسدد اللكمات إلى وجهه بجنون، وانفض الأبناء مذعورين. وفي النتيجة: فقد الولد إحدى عينيه.
قال الجيران: لقد غضب جارنا للشرف، وللتهذيب. وقال زملاؤه في العمل: بل غضب لأنه رجل ضعيف، لم يستطع استيعاب صدمة العمل، فرماها في حدقة ولده.
أرجو ألا نغضب ضعافًا، وألا ندخل في دوامة التنفيس.
أرسل بالبريد المسجل هذه المرة.

في ظل غياب تعريف واضح له

التطبيع الإعلامي يثير نقاشات حادة في أوساط الصحافيين

أحمد البيتاوي

محمد دراغمة.

خليل شاهين.

حسام عز الدين.

جميل ضبابات.

شكلت لقاءات صحافية ومؤتمرات دولية ضمت صحافيين فلسطينيين مع نظرائهم الإسرائيليين مثار خلاف، شهدت فصوله بيانات وتصريحات، وانقسم الصحافيون على إثرها بين معارض لها، رأى فيها شكلاً من أشكال التطبيع الإعلامي، وبين فريق ثانٍ اعتبرها وسيلة لشرح وجهة النظر الفلسطينية وإيصالها للشارع الإسرائيلي عبر صحفييه. إلا أن المتفق عليه هو الدعوة إلى الاتفاق على وضع تعريف واضح للتطبيع.

فقد مثّل مؤتمر عُقد مؤخرا في العاصمة النرويجية أوسلو بمشاركة صحافيين فلسطينيين وإسرائيليين، الحلقة الأخيرة في مسلسل اتهامات التطبيع المتبادلة بين الإعلاميين الفلسطينيين، ومطالبات بمقاطعة كل من ثبت مشاركته في هذا الاجتماع واتخاذ إجراءات عقابية بحقه، مع تأكيد على أن المشاركين لا يمثلون إلا أنفسهم، ولا يعبرون عن حقيقة الواقع الإعلامي الفلسطيني.

الصحافي محمد دراغمة أحد المشاركين في مؤتمر النرويج، نفى عقد أي لقاءات ثنائية بين الصحافيين الفلسطينيين والإسرائيليين، سواء قبل أو خلال أو بعد المؤتمر، مؤكدًا أن نقابة الصحافيين اتصلت بالنرويجيين وتأكدت بنفسها من هذا الأمر.

وقال دراغمة لـ «الحال»: «التطبيع من وجهة نظري الشخصية هو إقامة علاقات طبيعية ونشاطات مشتركة مع الإسرائيليين، وهذا الأمر أنا أعارضه، ولكن هذه المؤتمرات الدولية التي شاركنا فيها لم تنتج عنها أي علاقة مشتركة مع الاحتلال».

ولفت إلى عدم وجود تعريف واضح للتطبيع في قاموس العمل الصحفي الفلسطيني، مؤكدًا أن «الأمر في فلسطين يختلف عن بقية الدول العربية والإسلامية، لأننا شعب تحت الاحتلال ونقيم علاقات اقتصادية وأمنية وسياسية معه».

أما الكتاب الصحافي محمد هواش، وهو أحد المشاركين في المؤتمر، فقد علّق قائلاً: «من حق أي فلسطيني أن يُبدي رأيه من أي نشاط عام متعلق بالقضية الفلسطينية، ولكن المؤتمر الذي عُقد في النرويج كان مؤتمرًا دوليًا بمشاركة وفود من عدة دول، وكان من بينهم صحافيون فلسطينيون وآخرون إسرائيليون.. هذا المؤتمر لا ينطبق عليه التطبيع ولا يندرج في إطاره».

وأوضح في حديثه مع «الحال» أن «المشاركين عرضوا مواقف منسجمة مع الموقف الفلسطيني الرسمي الذي يدعو لإنهاء الاحتلال ووقف الانتهاكات الإسرائيلية لحرية الصحافيين الفلسطينيين في التغطية الحرة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي».

وأضاف: «من وجهة نظري الشخصية، لا أرى أي غضاضة في عقد لقاءات بين صحافيين فلسطينيين وإسرائيليين لإيصال وجهة النظر الفلسطينية، فالإسرائيليون في المجمل لا يريدون سماع روايتنا وينزعجون من الحقيقة التي تؤكد على ضرورة إنهاء الاحتلال قبل الحديث في أي موضوع آخر».

موقف النقابة

نقابة الصحافيين الفلسطينيين، دعت في بيان شديد اللهجة «الصحافيين الذين يشاركون بوعي أو بغير وعي في لقاءات التطبيع مع الاحتلال إلى تذكر المنهج العنصري الذي يتعامل فيه الاحتلال مع الصحافيين الفلسطينيين في ميادين العمل، وخاصة تلك الاعتداءات التي أودت بحياة بعض زملائهم».

وأكدت النقابة أنها «ستكون الجهة المحاسبة لكل من يخرج عن الصف الوطني، وستكون مضطرة لنشر أسماء من يُصرون على إمعانهم في ضرب الموقف الوطني بعرض الحائط وفضحهم وتعريتهم والعمل على فرض المقاطعة عليهم».

المحلل السياسي خليل شاهين رأى أن دور النقابة في مقاومة التطبيع ضعيف ولا يصل للمستوى المطلوب، وتابع: «لم نسمع مثلاً عن عقوبات فرضت على الصحافيين المتهمين بالتطبيع، وفي حال تم إقرار ذلك، هل من آلية تُلزم المؤسسات الإعلامية؟، ومن هنا تكمن أهمية تغيير بنية النقابة ودورها حتى تتمكن من لعب دور أكبر في الدفاع عن الصحافيين ومقاومة التشوهات الدخيلة التي اعترت الجسم الصحفي مؤخرًا».

وأضاف: «هناك بعض الصحافيين ما زالوا مصرين على موقفهم ويدعون إلى التطبيع علانية لأنهم باختصار ليسوا أعضاء في النقابة، فهل من آلية لوقف هؤلاء من دون وجود صيغة قانونية تكون سلاحًا بيد النقابة لمقاومة المنفلتين؟».

وبيّن شاهين خلال حديثة مع «الحال» أن «المشكلة تكمن بوجود أجواء عامة مشجعة للتطبيع الإعلامي مع الاحتلال»، لافتًا إلى أن «الخطير في الأمر أن نشاطات مشتركة أُقيمت مؤخرًا بين الجانبين تحت يافطة ما يسمى منتدى الصحافيين الفلسطينيين والإسرائيليين، كما أن جميع اللقاءات التي عُقدت بين الطرفين لم يترتب عليها أي شيء يخدم القضية الفلسطينية».

وعرّج شاهين على مشاركة صحافيين فلسطينيين في المؤتمرات الصحافية التي تُعقد في مستوطنة بيت إيل، ورأى أنها تأتي في سياق سلسلة الفعاليات ذات البُعد التطبيعي مع الاحتلال، وأن هذه اللقاءات تجري في الوقت الذي تقوم فيه إسرائيل بإحياء دور الإدارة المدنية في الضفة الغربية وسلب دور السلطة الفلسطينية.

من جهته، قال حسام عز الدين عضو الأمانة العامة في نقابة الصحافيين: «لنفترض جدلاً أن لقاءات تمت بالفعل، فهل يكون علاجها من خلال اتهامات متبادلة عبر صفحات الإنترنت والفيسبوك، بحيث تحوّل الأمر إلى ردح إعلامي وانتقام شخصي بين الطرفين. هذا الأمر يسيء للعمل الصحافي برمته وليس لأحد الطرفين».

وحول موقف النقابة من مؤتمر يعقد في بيت إيل، أشار عز الدين إلى عدم وجود موقف محدد من النقابة حول هذا الأمر، ولفت إلى أنه «في حال تم منع الصحافيين الفلسطينيين من المشاركة في هذه المؤتمرات، فهل ستُتهم النقابة بممارسة دور ردعي بحق الصحفيين؟».

واتفق عز الدين مع الرأي القائل بعدم وجود تعريف دقيق للتطبيع الإعلامي، بالرغم من وجود بند في نظام النقابة الداخلي يتحدث عن هذا الأمر، مؤكدًا وجود نقاش معمق داخل النقابة للخروج بموقف واضح ومفصل من كل القضايا المتعلقة بالتطبيع، والتي تؤثر سلبًا على تماسك ووحدة الجسم الصحفي.

الخلط بين العمل الإعلامي والسياسي

الصحافي جميل ضبابات اعتبر أن الإشكالية تكمن في عدم وجود تعريف جامع مانع للتطبيع يتحدث وبشكل محدد عن السلوكيات والنشاطات التي تدخل في إطاره، وأن كل ما قيل حتى اللحظة هو اجتهادات شخصية.

واقترح ضبابات خلال حديثه مع «الحال» أن تُشكل لجنة خاصة تابعة للنقابة يتم عرض الصحافيين المتهمين بالتطبيع عليها، مهمتها البت بالقضايا المتعلقة بهذا الأمر بناء على معلومات صحيحة غير مستقاة من الإشاعات.

وأضاف: «للأسف، أصبح هناك خلط بين العمل الإعلامي والسياسي، بحيث أصبح بعض الصحافيين يعتقدون أنفسهم رجال سياسة يجلسون مع الطرف الإسرائيلي، ويجدون لذلك العديد من المبررات كشرح وجهة النظر الفلسطينية والتأكيد على الحقوق والثوابت، وهنا تكمن المشكلة».

أمـــومـــة

أسماء الغول

كنت أقرأ الأخبار حين تنبهت فجأة أن جميع الضحايا الذين وردوا فيها من الأطفال: صور جثث أطفال من مجزرة الحولة بسوريا. ولاحظت أن هناك ما يشبه المياه على بناطيلهم، فقد بالوا في سراويلهم في لحظاتهم الأخيرة من رعب الإعدامات الجماعية؛ وصور أخرى لأطفال من قطر قضوا نحبهم في حريق مركز تجاري، فبعد مرور وقت على محاولات إطفاء الحريق، تنبه رجال الإطفاء إلى أن هناك أطفالاً حاصرتهم النيران في الحضانة، وحين أخرجوهم، كان الثلاثة عشر طفلاً قد ماتوا مختنقين.

هربت إلى مواقع إخبارية أخرى، لأجد نفسي أمام خبر آخر في وكالة محلية عن ذوبان العضو التناسلي لأحد الأطفال الرضع والجزء السفلي من جسده بعد أن وضعته إحدى الممرضات في مستشفى بغزة في المياه المغلية، وردت وزارة الصحة على الأب برسالة رسمية: «الممرضة لم تقصد، وتاريخها مشهود له بالنظافة والمهنية»!!.

دقات قلبي ارتفعت حرارتها، وتلقائيًا وضعت يدي على بطني المنفوخ بجنين لطفلة في شهرها السابع، ونظرت إلى ساعة الحائط إذ تأخر ابني ناصر عن الوصول من المدرسة، وتساءلت: أي عالم هذا الذي أعيشه وأورّثه لابني وابنتي القادمة؟، كيف نعيش في هذه الوحشية، ولا تزال عقولنا على ما هي عليه؟، شعرت أني أعذر كل الجيل الجديد بتطرفه في رقصه وكتاباته وقصات شعره وموسيقاه، فهذه طريقته لاستيعاب هذا العالم الذي بالفعل لم يعد لنا.

تركت جهاز الحاسوب واتجهت إلى النافذة ثم إلى «البلكونة»، وأنا أنتظر السيارة التي تقلّ ابني، وتداعت إلى ذهني جميع قصص الاطفال الذين كتبت عنهم وراحوا ضحايا وهم في طريقهم للمدرسة أو رجوعهم منها: أطفال بعلوشة والسمومي والطفل من عائلة الحايك الذي قُتل تحت سور مدرسته في أول يوم بالحرب.

شعرت للحظة أننا جميعًا أمهات ثكالى مع وقف التنفيذ، وقد يكون المجرم أي واحد ممن استعبدته دكتاتوريات ظالمة لا ترى في حياة الطفل أي دافع لمراجعة الذات، بل كأن الطفولة تحثهم على مزيد من الوحشية كي لا تصبح هناك ثغرة ذنب واحدة ترجعهم إلى كيانهم الانساني.

أفقت على صوت ابني وهو يناديني من الشارع. نظرت إليه ووجدته مبتسمًا ممتلئًا بالحيوية رغم ساعات الدراسة الطويلة، وشعرت غصبًا عني بتفاؤل بغدٍ ربما سيكون أقل حزنًا وأخف وطأة على أمومتنا وطفولتهم.

اقتحام المستوطنين لقبر يوسف.. فوضى ممنهجة لفرض الأمر الواقع

عاطف دغلس

يبدو تكرار عمليات اقتحام المستوطنين «مقام يوسف» محاولة لفرض سياسة الأمر الواقع، واعتباره جزءًا لا يتجزأ من إسرائيل، من حق مواطنيها «زيارته» دون تنسيق مع السلطة الوطنية، التي باتت تفقد زمام السيطرة عليه، فهي عشوائية لا يمكن ضبطها، الأمر الذي حدا بالسلطة للمطالبة بإجراءات أكثر تقييدًا لدخول المستوطنين تجنبًا للفوضى والعشوائية وما يترتب عليهما.

ومؤخرًا، أقرت محكمة يهودية دينية في القدس «أن السلطة القضائية والإدارية على قبر يوسف في نابلس هي من اختصاص حاخامين يقفان وراء منظمة تدعى (نابلس واحدة)، يعملان على تنظيم التسلل إلى القبر دون تنسيق مع الجيش».

ويربك هذا الأمر السلطة الوطنية، لا سيما أن الحادثة التي وقعت العام الماضي وقتل فيها مستوطن وجرح خمسة آخرون عند دخول المقام دون تنسيق؛ لم تطو صفحتها بعد.

إعادة المنطقة لدوامة العنف

الناطق باسم محافظة نابلس زياد عثمان، أكد أن المستوطنين المتطرفين لا ينسقون مع السلطة أو حتى مع جيش الاحتلال في غالب الأحيان، وهم «يمارسون دورهم كقوة احتلال وقوة تخريب، ويأتون تحت جنح الظلام ليعيثوا فسادًا ويقتحموا دون إذن، بل ويخربون المدارس ومنازل المواطنين التي تحيط بالمقام».

ومقام يوسف حسب الاتفاقيات مفتوح لجميع أصحاب الديانات والمؤمنين لزيارته بإشراف وتنسيق السلطة، وهذا ينطبق على الإسرائيليين.

وحسب عثمان، فإن المستوطنين يريدون عبر هذه الاقتحامات العشوائية والفوضى المصاحبة لها إعادة عقارب الساعة للوراء عبر فرض سيطرة إسرائيلية على المقام مجددًا وإعادة المنطقة لدوامة العنف، خاصة أن الدخول عنوة وحالة الإرباك هي صفة ملازمة للمستوطنين.

ورغم التسامح الذي أبدته السلطة الوطنية -كما يقول عثمان- بفتح المجال أمام المستوطنين وغيرهم لزيارة المقام، إلا أنهم يصرون على افتعال أزمات بتوغلهم دون تنسيق، لا سيما أن المقام يقع قرب مخيمات اللاجئين وهو ما يجعل الوضع عرضة للانفجار في أي لحظة «وهذا ما يسعى له المستوطنون لفرض وقائع سياسية على الأرض».

ورأى عثمان أن «هذه الاقتحامات التي تكون عادة بحماية الجيش الإسرائيلي تعد تحديًا للسلطة وسًا بسيادتها وسلطتها ونفوذها ودورها ومكانتها». وقال إن دخول الجيش مع المستوطنين يدل على أنه يقبل بالمنهج الذي يسلكه هؤلاء المتطرفون.

وأضاف أن هذا تحدٍّ للسلطة التي أعلنت على لسان محافظ نابلس جبرين البكري أنها ستقاوم أي دخول عشوائي بعدم الاستسلام لرغبات المستوطنين سياسيًا وجماهيريًا، وعلى مستوى الرأي العام والقانون الدولي وكل المحافل التي تحتضن الحق الفلسطيني وتحمي التراث الوطني الفلسطيني.

ورفض المتحدث باسم المحافظة ادعاء المستوطنين وسلطات الاحتلال أن القبر يقع ضمن مناطق «سي»، وقال إن هذا تهريج سياسي وغير دقيق.

وتدرك الجهات الأمنية الفلسطينية أن «محاولات المستوطنين فرض سياسة الأمر الواقع على المقام لن تجدي نفعًا أمام أحقية الفلسطينيين بالمقام، وترفض عبر إجراءات معينة السماح للمستوطنين بالمغالاة في توغلاتهم واعتبار الأمر كأنه تحصيل حاصل».

وتتواجد دورية للشرطة الفلسطينية قرب القبر على مدار الساعة، لحمايته باعتباره مكانًا تاريخيًا.

دولة المستوطنين في الضفة

غسان دغلس مسؤول ملف الاستيطان في شمال الضفة يرى أن ما يقوم به المستوطنون من اقتحام ممنهج هو جزء من مشاريع استيطانية كبرى تهدف لتبرير التواجد الاستيطاني والتوسع وفرض مزيد من السيطرة على الأرض لصالح «دولة المستوطنين» التي ينوون إقامتها بالضفة الغربية. ويستخدم المستوطنون ذرائع دينية مثل وجود مقام أو قبر معين لاستهداف مناطق معينة وبسط سيطرتهم عليها على حساب الفلسطينيين.

وتتسبب عشوائية الاقتحام للمقام بمشاكل جمة للمواطنين الذين يقطنون قربه، فلا نوم ولا راحة في ليلة الاقتحام، بل يقتحم المستوطنون منازلهم، أو قوات الاحتلال التي ترافقهم وتعتلي أسطح البنايات المجاورة لحمايتهم.

ويصل تعداد المستوطنين المقتحمين في بعض المرات إلى أكثر من ثلاثة آلاف مستوطن، وهذا يسبب حسب المواطنين حالة من القلق للأهالي، إذ تقع أحيانًا مواجهات بينهم وبين الشبان الفلسطينيين، ويقوم جنود الاحتلال بإطلاق النار بشكل عشوائي على الفلسطينيين.

كما يعاني طلبة المدارس الأمرين إذا وقعت اشتباكات ومواجهات في محيط القبر في الليلة التي يقتحم فيها القبر بأعداد كبيرة ودون تنسيق مسبق، حيث تقع ثلاث مدارس قرب المقام، وهي مدارس ثانوية: اثنتان للذكور وواحدة للإناث. وعند اقتحام المستوطنين تقع مواجهات تمتد أحيانًا لعدة ساعات، وأحيانًا يومًا كاملاً، ما يعني أن الدراسة تعطلت في هذه المدارس.

مقام يوسف في نابلس.

ما وراء دعوة باراك للانسحاب الأحادي الجانب من الضفة

نظير مجلي

دعوة وزير الأمن الاسرائيلي، إيهود باراك، حكومته إلى التفكير في إمكانية الانسحاب من طرف واحد من الضفة الغربية في حال الاستمرار في الجمود في مفاوضات السلام أو الفشل في هذه المفاوضات في حال استئنافها، وعلى الرغم من الشبهات الشرعية التي دارت حوله وحولها؛ تحتاج إلى وقفة فلسطينية معمقة وعدم الاستخفاف بها وعدم رفضها المتسرع وعدم الاستمرار في تجاهلها.

الدعوة جاءت خلال كلمته في المؤتمر السنوي لـ «معهد دراسات الأمن القومي- INSS» في تل أبيب، وقال فيها: «نحن نتمتع بأكثرية 94 عضو كنيست في الائتلاف الحكومي (من مجموع 120 نائبًا)، وعلينا أن نقدم على خطوات عميقة لتسوية الصراع مع الفلسطينيين. هذا هو الوقت لمبادرة إسرائيلية نحو عملية سياسية تغير من صورة الأوضاع في المنطقة». وأضاف أنه «في حال لم يكن بالإمكان التوصل إلى اتفاق بشأن الحل الدائم مع الفلسطينيين، يجب دراسة إمكانية القيام بتسوية مؤقتة أو حتى القيام بعملية انسحاب من جانب واحد». وتابع: «نحن نعيش اليوم في وقت ضائع. والبعض يرى فيه وضعًا مثاليًا. لكننا إذا واصلنا الجلوس هكذا مكتوفي اليدين، ستصطدم رؤوسنا بالحائط وسندفع ثمنًا باهظًا. وأنا أقول هذا الكلام في إطار الإنذار والتحذير، كي لا نقول فيما بعد: لم نرَ ولم نسمع ولم نعرف».

تفسيره للفكرة كما هو واضح سليم. ففي إسرائيل يعيش لا القادة وحدهم، بل الشعب أيضًا في حالة سكر من جراء الجمود السياسي. يحسبون أن هذا الجمود هو لصالح اسرائيل. وهناك من يستغل هذه الحالة، مثل المستوطنين، ليواصلوا ممارساتهم العدوانية التوسعية على الأرض ويزدادون وقاحة ووحشية في تنفيذ الاعتداءات على المواطنين. والحكومة تفتح لهم الباب على مصراعيه.

لكن، ما الذي جعل باراك بالذات يطرح هذا الموقف؟ هل هو بريء من الجمود في المفاوضات أو من توسيع المستوطنات؟

من الواضح أن باراك، بوصفه وزيرًا للأمن، يتحمل مسؤوليات إسرائيل في الضفة الغربية. وعمليًا هو المسؤول الأول عن الاستيطان. وبما أنه يقف في هذا المنصب طيلة خمس سنوات (منذ زمن حكومة إيهود أولمرت السابقة)، فإنه شريك في جريمة زيادة عدد المستوطنين في الضفة الغربية بأربعين ألف مستوطن فقط في السنوات الثلاث الأخيرة. ومع أن مساعديه يدافعون عنه ويدعون أنه لولا باراك لكان عدد المستوطنين أكبر بكثير، إلا أن هذا الادعاء لا يخفف مسؤوليته.

لكن الأنكى من ذلك هو أن باراك دخل الحكومة على رأس حزب العمل، بهدف ما سماه «إحداث موازنة سياسية». فقد أراد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو أن يخفف من الطابع اليميني لحكومته، فأقنع باراك بالانضمام اليه. ورفض باراك يومها اتهامه بأنه قبل على نفسه وظيفة «ورقة التوت التي تستر عورات حكومة اليمين المتطرف»، وأعلن أنه يدخل الحكومة لكي يؤثر على سياستها باتجاه عملية السلام. ولكن، عندما مرت سنة ونصف السنة على هذه الحكومة من دون أن تفعل شيئًا لتحريك مفاوضات السلام، حصل تململ داخل حزب العمل. وهدد ثمانية من 13 نائبًا بالتمرد والانسحاب من الائتلاف، إذا لم تحدث اختراقًا في المفاوضات مع الفلسطينيين. فما كان من باراك إلا أن رد عليهم بالانسحاب من حزب العمل وتشكيل حزب جديد يدعى الاستقلال، فغادروا هم الائتلاف وبقي هو وخمسة نواب فيه.

عمليًا، باراك كان يستطيع التأثير على سياسة الحكومة لكنه لم يفعل. والأهم من ذلك أنه كان شريكًا في سياسة المماطلة الاسرائيلية والتنكر لمحادثات واستحقاقات السلام، فضلاً عن شراكته في قيادة كل عملية عدوانية حربية ضد أهلنا في قطاع غزة. وهذا يجعلنا ننضم إلى كل أولئك الذين لا يصدقون نوايا باراك.

بيد أن تصريحاته تلك تحمل بعدًا سياسيًا وإستراتيجيًا آخر. وهي في الواقع ليست أفكارًا أصلية عند باراك، ومن هنا أهميتها. فقد كان هذا الموقف، أي الانسحاب من الضفة الغربية من طرف واحد، عبارة عن زبدة دراسات أجراها عدد غير قليل من جنرالات الجيش والمخابرات ورجال الأكاديميا والبحث الإستراتيجي.

وكان أبرز المعبرين عن هذا الرأي الجنرال عاموس يدلين، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الاسرائيلي، الذي يرئس اليوم مجلس أبحاث الأمن القومي في تل أبيب. فقد أعرب يدلين عن رفضه ما قالته وزيرة الخارجية الأميركية، هيلاري كلينتون، التي ردت على باراك قائلة: «المفاوضات هي السبيل الوحيد للخروج من مأزق الصراع الإسرائيلي الفلسطيني». وقال يدلين «إن الانسحاب من طرف واحد يمكن أن يكون الحل الأمثل في هذه الظروف». وأضاف يدلين أن «حالة الجمود في المفاوضات القائمة حاليًا، التي فرضها رئيس الوزراء، نتنياهو، والتي تريح أوساطًا في اليمين الإسرائيلي والحكومة، هي لعنة بالنسبة لمصالح إسرائيل. أضرارها خطيرة على إسرائيل. والمستفيد الوحيد منها هم العرب. وقال إن «على إسرائيل أن تعين حدودها بما يشمل لها أن تكون دولة يهودية وديمقراطية».

وقال الجنرال عامي أيلون، الرئيس الأسبق للمخابرات الإسرائيلية، إن «حكومة مسؤولة وحكيمة في إسرائيل تبادر إلى تحريك الموضوع الفلسطيني لما فيه مصلحة التسوية على أساس مبدأ «دولتان للشعبين». وكشف أيلون أنه ومجموعة كبيرة من قادة الجيش وأجهزة الأمن السابقين، يؤيدون انسحابًا إسرائيليًا من طرف واحد، ولكن ليس من دون تنسيق مع السلطة الفلسطينية. وقال: «إن الخطأ في خطة الفصل لدى حكومة أرئيل شارون لم يكن في الانسحاب من قطاع غزة كمبدأ، بل في الانسحاب من طرف واحد بلا تنسيق مع أصحاب الشأن». واعتبر أيلون الانسحاب من طرف واحد، «إذا تم وفق خطة مدروسة ومتفق عليها مع الفلسطينيين، سيكون عملية حيوية ذات أهمية تاريخية في الشرق الأوسط».

فالفكرة إذًا تدور في أروقة الجنرالات وليس فقط في رأس باراك. وأبرز مضامينها أنها تتم بالتنسيق مع الطرف الفلسطيني. والهدف منها هو منع المستوطنين من فرض أمر واقع على الأرض يجعل من المستحيل فيما بعد التوصل إلى سلام على أساس إقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات امتداد جغرافي.

عائلات تتخذ من الإنترنت وسيلة للتقارب بين الداخل والشتات

عبد الهادي عوكل

لم يترك الفلسطينيون على مدار سنوات الصراع مع الاحتلال وسيلة إلا استخدموها لمواجهة أساليبه التي تستهدف تشتيت العائلات الفلسطينية. ومنذ ثورة الإنترنت ودخوله كل بيت، وجدت كثير من العائلات الفلسطينية في هذه الوسيلة إمكانية لتقصير المسافات بين أفراد العائلة في الوطن والشتات، كما وفرت لهم إمكانية التواصل بسهولة وفي أي وقت بالصوت والصورة.

وقد أنشأت عدة عائلات مواقع إلكترونية خاصة بها مثل الأغا، وشبير، والفرا، والجبور، والعقاد، والبيوك، والسقا، وغيرها الكثير.

يقول نورهان العقاد المشرف العام على موقع عائلته لـ «الحال»: «إن العائلة استشعرت الحاجة الماسة لإنشاء موقع إلكتروني خاص بها، لتسهيل تعارف الأجيال الشابة والجديدة في العائلة على بعضها في الداخل والخارج، إذ يحتوي الموقع على شجرة للعائلة بالأسماء والصور، ويشارك الأهالي في الأحزان والأفراح بإبراق التعازي والتهاني على صفحة الموقع». وأضاف نورهان أن «الموقع تأسس مطلع عام 2009 لمجاراة الواقع الجديد الذي فرض علينا بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة، وهو يستهدف أفراد العائلة في الوطن والشتات. وتقدر الزيارات اليومية للموقع من 1200– 1300، وعدد مرات الدخول من الدول العربية والأجنبية نحو 200 يوميًا من المجموع الإجمالي، مقسمين على 28 دولة يقطن فيها أفراد العائلة».

وأكد أن «الموقع ساهم بشكل كبير وفي فترة قصيرة بتواصل أفراد العائلة في الداخل مع الخارج وأصبحت أخبار العائلة في متناول الجميع». ولفت إلى أنه «في بعض الأحيان، أصبح المقيمون في خارج الوطن يعرفون أخبار العائلة قبل أهل الداخل»، داعيًا العائلات الفلسطينية أن تحذو حذوهم.

وفي السياق ذاته، قال حسين سليم البيوك مدير موقع عائلة البيوك لـ «الحال»: «إن سبب إنشاء موقع باسم العائلة هو توفير الفرصة لجميع أفرادها في الداخل والشتات بالتواصل، فالعائلة كبيرة وتتكون من 4000 نسمة، نحو 1000 منهم في الشتات»، مؤكدًا أن الصفحة حققت الهدف المنشود لها.

وأوضح أن من بين الأسباب الأخرى لإنشاء الصفحة «إبراز اسم عائلة البيوك بين العائلات الأخرى، وإظهار المثقفين منها والشخصيات البارزة، ونشر تاريخ وشجرة عائلة البيوك، ومشاركة العائلات الأخرى في أفراحهم وأحزانهم».

من جانبه، أوضح سفيان الأغا مدير موقع «النخلة» الخاص بعائلة الأغا كبرى العائلات الفلسطينية في مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، أن الموقع أنشئ عام 2002 لإتاحة الفرصة لأفراد العائلة بالتواصل بين الداخل والخارج.

وأكد أن «الموقع عمل على توسيع دائرة التعارف بين أفراد العائلة وأصبح الجميع يعرف تفاصيل العائلة وتاريخها منذ القدم، وإنجازات أفرادها، كما أنه الموقع ساعد أفراد العائلة في تبادل الخبرات فيما بينهم، وتوفير جميع البيانات الإحصائية، سواء المواليد أو الوفيات أو النسب مع العائلات الأخرى».

وتركز مواقع العائلات الفلسطينية بمجملها على إظهار اسم العائلة وتاريخها النضالي وأسماء الشهداء فيها، ونشر تاريخها لتكون في متناول أبنائها.

المزرعة السعيدة.. فلاحون يزرعون الأمل ويحصدون الوهم

نعيمة الهباش

بعد أن كان الشعب الفلسطيني يعتمد على الزراعة كمصدر دخل أساسي، باتت زراعة من نوع آخر تشغله، فسرقته بعيدًا عن أرضه، بل حتى عمله وعائلته.

فقد أدمن كثيرون الزراعة والفلاحة في «المزرعة السعيدة» على الفيسبوك، إذ يزرعون ويحصدون ما طاب لهم، دون مجهود أو تعب، بل يشعرون بالراحة والسعادة كلما كانت الزراعة أكثر.

محمد في الثانية عشرة من عمره، يلعب «المزرعة» ساعتين في اليوم لأن «فيها ترفيهًا وتسلية، كما أنها جذابة»، كما يقول.

وبين محمد أنه منذ خمسة شهور يلعبها، ولا يستطيع تركها، ففيها بيوت وقصور وحيوانات يطعمها لأخذ منتجاتها وبيعها، مضيفًا: «أنا أحب أن تكون لدي أرض واقعية وفيها كل هذا، ولكن لعدم توفرها، أزرع الأرض في الإنترنت».

أريج (21 عامًا) ترى أن للعبة سلبيات، فهي مضيعة للوقت إذ تلعبها ما يقارب 6 ساعات يوميًا، ما يؤثر على دراستها الجامعية. تقول: «رغم سلبياتها التي أعترف بها، فهي جذبتني، ففيها تنافس مع جيران المزرعة، والحماسة كبيرة للتفوق عليهم، بالإضافة إلى أنها مسلية وتخلص الإنسان من الملل».

وأشارت أريج إلى أن «الناس تتسابق على اللعبة نظرًا لرغبتهم في التملك وأن يكونوا أصحاب أرض ومال على أرض الواقع، ولكن لعدم استطاعتهم ذلك، يلجأون إلى اللعب كمصدر تعويض، لأنها تعطيهم إحساسًا بأنهم ملاكون».

وعبرت أريج عن استيائها من الإدمان الذي أحدثته اللعبة لدى كل فئات المجتمع، مضيفة: «عند ذهابي إلى إحدى الوزارات لإجراء معاملة، تركني الموظف ما يقارب الساعة، وعندما نفد صبري توجهت اليه فرأيته يلعب المزرعة السعيدة!».

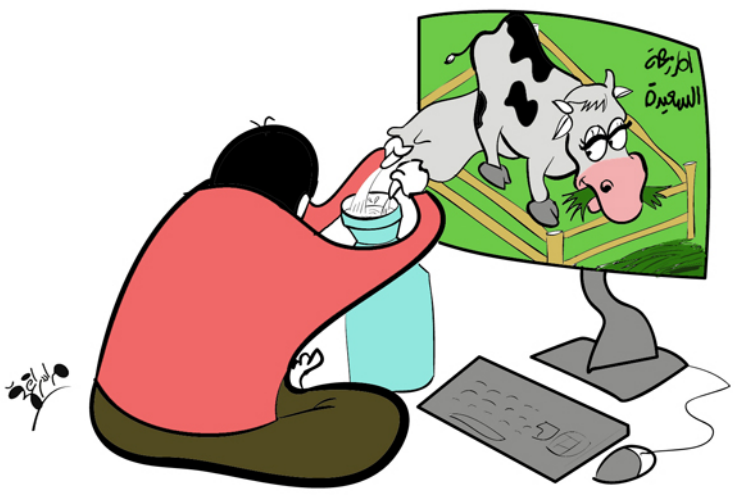

أما أحمد (23 عامًا)، فهو يلعبها لوجود أوقات فراغ كبيرة لديه، مبينًا أنه لم يحصل على فرصة عمل منذ تخرجه في الجامعة، ما جعله يبحث عن شيء يفعله لشغل وقت فراغه، وللقضاء على الملل الذي يسيطر عليه.

محمد عايش رئيس شعبة الإرشاد والتربية الخاصة في مديرية التربية والتعليم بغزة أوضح أن «الناس تعلقوا باللعبة لأنها تحقق لهم احتياجات نفسية واقتصادية لا يستطيعون تلبيتها في الواقع، مبينًا أنها تعطيهم حرية وهمية في ممارسة الاقتصاد والزراعة، والحصول على مبالغ وهمية، فمن يلعبها يفتقر لتلك الاحتياجات».

وعن التأثير السلبي لها، قال: «اللعبة ألغت الدور والهدف الموجود لأجله كل شخص في المجتمع، فجعلت الناس ينجذبون إليها وينسون مسؤولياتهم تجاه أبنائهم ومجتمعهم، كما أنها جعلت الأطفال والشباب يهملون دراستهم ويقضون معظم وقتهم في اللعب»، مبينًا أنها «فككت الروابط الاجتماعية بين الناس، وقطعت التواصل بين الأقارب».

وأضاف عايش: «يجب أن تكون هناك حملات توعية وإرشاد لكل فئات المجتمع لتوضيح الأضرار الكبيرة التي تجلبها اللعبة لهم ولمجتمعهم».

خالد الشرقاوي مهندس حاسوب ومتخصص برمجيات، أوضح أنه «ربما يكون للعبة أهداف تنموية لتنمية القدرات وزيادة تفكير لاعبيها، لكنها أهداف غير مقصودة من قبل منتجي هذه اللعبة، لأن هناك ألعابًا خاصة للذكاء»، مبيناً أن «الهدف الأساسي للعبة هو الترفيه والتسلية، وإشغال وقت فراغ الناس».

الشباب الفلسطيني «يشارك» في الانتخابات المصرية عبر الفيسبوك

بدر ضراغمة *

تعج مواقع التواصل الاجتماعي بشباب فلسطيني ينخرطون بشدة في الانتخابات المصرية كما لو أنها فلسطينية، فثمة بروفايلات لشبان وشابات تحمل صورًا وشعارات ورموزًا للمرشحين، فمنهم من يتابع المرشح حمدين صباحي أولاً بأول، ومنهم من يدعم مرشح الإخوان المسلمين محمد مرسي، وآخرون توزعوا في دعم مرشحين آخرين واتجاهات سياسية مصرية.

«الحال» حاورت نشطاء فيسبوك ومراقبين للوقوف على وصف للحالة الجديدة التي خرجت عن مقولة «ما يجري في أي قطر عربي هو شأن يخصه، وما يجري هنا هو شأن داخلي فلسطيني لا يحق لأحد التدخل فيه».

نشاط فردي وتفاعلي عادي

فقد قال مؤسس صفحة «فلسطينيون يدعمون حمدين صباحي رئيسًا لمصر» توفيق العيسى أنه «لا يوجد هناك أي تحرك فلسطيني منظم في الدعم أو التأييد أو التنظير للسياسة المصرية، ولا يوجد أي تيار أخذ على عاتقه أن يتحرك باتجاه مرشح ما، وما نشهده من نشاط على صفحات التواصل الاجتماعي هو فردي وتفاعلي عادي، وأحلام أشخاص تترجم من خلال وسائل الاتصال».

وأضاف العيسى أن ما يحصل ليس تدخلاً في الشأن المصري، بل «من حقنا أن ندلي برأينا العام، لكن علينا احترام إرادة الشعب المصري في النهاية مهما كانت النتيجة». وعلق على صفحة دعم صباحي بالقول: «هناك كثير من القوميين والعديد من الإسلاميين يؤيدون صباحي، خصوصًا بعد الثورة المصرية وخيبة الأمل في الإخوان».

وأشار العيسى إلى إعداد بوسترات إلكترونية تحاكي نفس الشعارات التي يطرحها مؤيدو صباحي في مصر مثل شعار (حمدين واحد مننا)، حيث «وضعنا صورة حمدين صباحي يرتدي الكوفية الفلسطينية وكتبنا عليها (حمدين صباحي مننا كمان). وهذا كله مجرد تفاعل وتفكير وتأثير فكري واجتماعي، لكنه لا يتعدى على إرادة الشعب المصري بل يأتي من باب حب مصر وشعبها ومرشحيها».

من جهتها، قالت رئيسة ملتقى العروبة في فلسطين كفاح كيالي إنهم أطلقوا حملة دعم للمرشح الناصري حمدين صباحي تحت عنوان «فلسطين تستنصر لأحرارها»، وأشارت إلى أن اهتمام الشباب الفلسطيني بالانتخابات المصرية ينم عن وعي وإدراك لجيل الشباب بجدلية العلاقة مع مصر وإيمانًا بأهمية البعد العربي لقضية فلسطين.

متابعة عامة ليس إلا

وترى مديرة مشروع التمكين المجتمعي في مؤسسة فلسطينيات خلود بدار إن قسمًا كبيرًا من الشبان الفلسطيني يتابعون الشأن السياسي بشكل عام، وذلك حسب نوع الحدث ومدى تأثيره علينا، وهؤلاء الشبان متأثرون بطبيعة العقل السياسي العربي التي فيها الكثير من السمات السلبية كالتسطيح والعاطفية والمزاجية وشخصنة الأمور، والحكم المتسرع. وبالتالي فإن هذه الفئة التي غالبًا ما تكون كبيرة تتأثر بالضجة الإعلامية وتتعاطف معها بعاطفية ساذجة، لكن هناك فئة مثقفة سياسيًا وتتابع الأحداث بعمق كبير، وغالبًا ما يكون لها موقف سياسي محدد يعبر عن انتماء حزبي معين.

وتضيف بدار أن بعض الشباب الفلسطيني أبدى اهتمامًا فائقًا وتابع التفاصيل وعلق على الأحداث في مصر، وعبر عن رأيه بقناعة تعكس وجهة نظره، والبعض الآخر مر على الموضوع بسرعة، وكانت تعليقاته أشبه بالمجاملة أو المناكفات.

وحول كيفية تعاطي الشباب الفلسطيني مع الانتخابات المصرية، ترى بدار أن بعض الشباب الفلسطيني آثر التشجيع من بعيد، والبعض حدد مرشحه المفضل، وكثيرون، باستثناء الإسلاميين، اختاروا المرشح حمدين صباحي، وآخرون صبوا انتقاداتهم على كل من مرشح الإخوان محمد مرسي وأحمد شفيق ممثل النظام. أما أساليب التعبير، فكانت تتراوح بين النقد الساخر والتهجم أحيانًا والمديح في بعض الحالات، لكن بالمجمل، كل الموضوع يدل على مدى اهتمام الشباب الفلسطيني بموضوع الانتخابات المصرية.

في حين يرى الكاتب الفلسطيني عبد الرحيم زايد أن حوالي 60% من الشبان الفلسطيني يتأثرون بالموضة العربية (التمرد)، وأنهم يصرون على تقديم شيء ما، فقبل قضية الانتخابات، كان الشباب الفلسطيني مشغولاً بقضية الأسرى.

تأثير ضئيل على الناخب المصري

كما أشار زايد إلى أن تأثير التحركات الشبابية الفلسطينية على الناخب المصري ضئيلة جدًا، ولكن الشيء الإيجابي هو تجمع مجموعة من الشبان حول فكرة معينة، وأن طبيعة الإنسان الذي لا يكون مهتمًا ويتجه نحو الاهتمام بالشأن العام، عندها سيصبح لدينا إدراك حول ثقل مصر السياسي والحضاري، والشباب الفلسطيني يدرك هذا الوعي، حتى لو لم يتمكن من إدراك الواقع خلال الفيسبوك.

وأكد الصحافي محمد ضراغمة أن مصر مركز الحلم العربي ومركز الثقل ومركز الأمل، وهي دائمًا تلعب الدور القيادي، وهذا يعود لعوامل التاريخ والبيئة والسكان والموارد والإرث الثقافي، وقال إن مصر قريبة من كل الشعب العربي قريبة من الخليج ومن المشرق والمغرب، ربما لا يهتم الشباب الفلسطيني كثيرًا بالانتخابات اليمنية أو التونسية، ولكن حتمًا يهتم بالانتخابات المصرية، لأنها تنعكس على فلسطين وعلى مستقبل القضية الفلسطينية وعلى مستقبل العالم العربي برمته.

* طالب في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

بلدية رام الله: ننتظر توفر موازنة لطمر المكب

الروائح الكريهة والكلاب الضالة تفسد جمال حديقة البروة

محمود عوض الله*

عندما تزور حديقة البروة التي تحتضن ضريح الشاعر الكبير محمود درويش وتم تدشينها حديثًا، تشتم روائح كريهة أو دخان الحرائق المنبعث من مكب نفايات «بيتونيا» غرب مدينة رام الله، الذي لا يبعد عن الحديقة سوى 60 مترًا. وجمال حديقة البروة التي تحتضن مناظر طبيعية خلابة تنغصه مشاهدة الكلاب الضالة التي تجول بالقرب من الحديقة محاولة استباحتها.

مراقبون ومهتمون ومثقفون أبدوا احتجاجًا على عدم إكمال التجهيزات لهذه الحديقة التي تضم رفات شاعر فلسطين. وزائرون عاديون غضبوا من عدم تنفيذ المؤسسات الرسمية في السلطة الوطنية مشاريع إضافية في محيط الحديقة التي أريد لها أن تكون معلمًا كبيرًا ليس في رام الله فقط، بل في كل الوطن المحتل.

«الحال» التقت أحد العاملين في حديقة البروة ورفض ذكر اسمه. قال إن الروائح الكريهة المنبعثة، والدخان الناتج من حرق النفايات في المكب تسبب تلوثًا للهواء في الحديقة، مشيرًا إلى أن من يريد التأكد من وجود الروائح الكريهة عليه القدوم في الأيام التي يكون اتجاه الرياح «شرقيًا» حيث تدفع الرياح الروائح الكريهة نحو الحديقة.

وأضاف: «أحيانًا أشعر بالحرج أثناء عملي عندما يزور بعض الشخصيات الهامة والسياح الأجانب الحديقة وتكون الروائح الكريهة منتشرة!، وليست فقط الروائح الكريهة هي المشكلة، بل إن المكب القريب يشكل مأوى للكلاب الضالة والقوارض ويدفعها إلى استباحة الحديقة رغم وجود جدار وسياج حولها.

مديرة حديقة البروة أسماء عزايزة ترى أن «على بلدية رام الله الإسراع في إغلاق المكب وطمره، فعند إنشائه كان بعيدًا عن المدينة ولا يشكل ضررًا واضحًا للبيئة والسكان والعمران حينها. أما اليوم، فقد اقترب الزحف العمراني من الحديقة وزادت أضرار المكب ومخاطره». وترى عزايزة أن «من غير المعقول وجود مكب نفايات بجانب ضريح الشاعر درويش وقصر رام الله الثقافي والأبراج السكنية القريبة».

الحاجة «أم جواد» التي تقطن في بيت قريب من المكب والحديقة عبرت عن سخطها على المكب الذي يسبب لها ولأولادها وعائلاتهم الأمراض المختلفة حسب ما تقول، حيث إنها مصابة بحساسية في جهاز التنفس وحفيدها مصاب بمرض الأزمة التنفسية، وقالت إن «سبب هذه الأمراض هو الروائح الكريهة ودخان الحرائق على مدار السنوات الماضية من المكب»، وإضافة إلى ذلك، فإن المكب يجعل منطقة سكناها مليئة بالذباب والحشرات الضارة، وتوجهت بنداء للبلدية وقالت: «حرام عليكم. أرواحنا في رقابكم».

وأضافت جارة الحديقة أنها كانت تتوقع مع أسرتها عند تدشين الحديقة أن يتوقف المكب عن العمل، لكنه ظل يعمل وخالف توقعاتها بالتخلص من هذه المكرهة الصحية والبيئية.

وتناشد الحاجة «أم جواد» بلدية رام الله وضع حد لهذه المكرهة بوقف إلقاء النفايات فيها وتحويل كب النفايات إلى مكب آخر بعيدًا عن السكان والحديقة، كما تناشد طواقم البلدية طمر النفايات وإحكام إغلاق المكب لمنع المتجولين، الذين يبحثون عن المعادن لبيعها، حيث يأتون ليلاً بالعادة ويحرقون تلال النفايات في المكب لاستخراج هذه المعادن.

رئيسة قسم البيئة في بلدية رام الله المهندسة ملفينا الجمل، قالت إن البلدية تلقت العديد من شكاوى المواطنين المتكررة خلال السنوات الماضية حول أضرار المكب، ولاحظت طواقم البلدية الأضرار الناتجة عنه بسبب الزحف السكاني وزيادة حجم المكب عن الحجم المخصص له، لا سيما وأن عمره زاد على 30 عامًا، مشيرة إلى أن الاحتلال كان عائقًا في وجه نقل هذا المكب، لأنه لا يسمح بتأسيس مكب صحي جديد في مناطق «ج» النائية والبعيدة عن السكان.

وأضافت الجمل: «بعد دفن الراحل درويش في تلك الربوة الجميلة وتدشين الحديقة، أصبحت البلدية تتجه إلى البحث بشكل أسرع عن حل جذري للمسألة، لأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال وجود مكب بجانب صرح مهم مثل ضريح الراحل درويش وبجانب السكان».

وكشفت الجمل أنه في القريب العاجل سيتم وضع حد لهذه المكرهة عن طريق تشغيل «محطة ترحيل» في الجزء البعيد من المكب عن الحديقة والسكان قرب محطة تنقية المياه العادمة، بحيث يتم ترحيل النفايات التي يتم جمعها في محطة التحويل يوميًا عبر شركة متخصصة إلى مكب «زهرة الفنجان» الصحي قرب مدينة جنين، بحيث لا تتراكم النفايات في المحطة أكثر من 24 ساعة.

وتضيف أنه بعد إغلاق المكب سينعم السكان القريبون ببيئة نظيفة، حيث ستتوقف الروائح الكريهة والأدخنة الناتجة عن الحرق، وستختفي الكلاب الضالة من المكان، مؤكدة أن طواقم البلدية تشن حملة واسعة في أرجاء المدينة حاليًا للتخلص من الكلاب الضالة وأن البلدية ستركز جهودها للتخلص من الكلاب في محيط الحديقة خلال الأيام المقبلة.

وأشارت الجمل إلى أن البلدية تخطط لطمر المكب وتحويله إلى «تلة خضراء» عند توفر الميزانية اللازمة، لكي تساهم في جعل هذه المنطقة نقية ونظيفة تليق بوجود ضريح الراحل درويش وقصر الثقافة والسكان الذين يقطنون بالقرب منها.

نفايات المكب التي تشوه جمال الحديقة.

* طالب في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

مجموعة «شباب الخير».. مسيرة تطوع وعطاء في الخليل

أفنان ناصر الدين *

«شباب شعر بواجبه تجاه مجتمعه، رغب في تغيير الفكرة عن أنه شباب غير قادر على تحمل المسؤولية، فوجد ضرورة لاستغلال وقت فراغه بعمل الخير». من هنا نمت فكرة مجموعة شباب الخير، التي تتكون من خمسة عشر شابًا وشابة من مدينة الخليل، وكانت البداية في شهر رمضان الماضي بتقديم مساعدات للعائلات المحتاجة بالاعتماد على علاقاتهم الشخصية، فانطلقت مبادرتهم «شباب الخير.. يلا نكسب رمضان»، علّها تكون بذرة مثمرة في مجتمعها المحلي.

صاحب الفكرة ومدير المجموعة وسيم القواسمة يقول: «اعتمدنا في مبادرتنا الأولى على استثمار علاقاتنا الاجتماعية والشخصية من أجل إيصال فكرتنا للمجتمع، فقمنا باستغلال قنوات التواصل المختلفة كالمواقع الاجتماعية مثل الفيسبوك والإذاعات المحلية، ولاستقطاب عدد من الشباب لتقديم الدعم والمساعدة لصالح تنفيذ هذه الحملة، قام الأفراد الرئيسيون فيها بإنشاء صفحة على الفيسبوك باسم (يلا نكسب رمضان)، وأوردنا معلومات عن المشروع على هذه الصفحة بالإضافة إلى تزويدها بإيميل ورقم جوال للتواصل مع الشباب وللرد على أية استفسارات واستقبال أية مساعدات».

استثمار همة الشباب

ويضيف القواسمة: «كان مبدأ عملنا يعتمد على مقولة (ابدأ بعمل الفكرة معنا أو مع أصدقائك)، لأن هدفنا تركيز العمل الخيري باستثمار همة الشباب بالدرجة الأولى، ومن هنا بدأنا بتكوين علاقات تعاونية مع العديد من المؤسسات المحلية، سواء الربحية وغير الربحية، ولقينا انتشارًا للفكرة بشكل سريع».

وعن الإستراتيجية التي تستخدمها المجموعة من أجل الحصول على الدعم لتحقيق الاستمرارية في عملها، قال القواسمة: «اعتمدنا على التمويل المحلي البحت من خلال بناء علاقات تعاونية مبنية على الثقة مع مؤسسات المجتمع المحلي مثل بلدية الخليل ممثلة برئيسها خالد العسيلي، وغرفة التجارة والصناعة بجميع أعضائها، وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بكافة كوادرها، وشركة رويال الصناعية التجارية، بالإضافة للمؤسسات الإعلامية من إذاعات محلية ووكالات أنباء التي رافقتنا خلال مبادراتنا».

صعوبات البداية

وأضاف إياد النتشة منسق الشباب في المجموعة: «واجهنا العديد من الصعاب في البداية، فنحن بدأنا من الصفر ومعظمنا لا يزال على مقاعد الدراسة، وقد استفدنا خلال عملنا في جمع التبرعات من استخدام مواردنا البسيطة كسيارات بعض أعضاء المجموعة والاجتماع لوضع الخطط في بيوت آخرين، واستخدام مخازن الأهالي لوضع التبرعات العينية فيها».

وتنوعت مبادرات مجموعة شباب الخير، بعد ظنهم أنها ستقتصر على المبادرة الأولى (يلا نكسب رمضان)، التي كانت تهدف لتوزيع مجموعة من التبرعات على العائلات المحتاجة، وإدخال البهجة والسرور على قلوبهم لتشعرهم بروح التكافل الاجتماعي. تقول منسقة الفتيات عرين القيمري: «لقد تضمنت مبادرتنا (يلا نكسب رمضان) عمل إفطارات جماعية تستهدف القرى المهمشة في المحافظة مثل قرية أم الخير وبير العد، بالإضافة لتقديم المساعدات لما يقارب 300 عائلة في محافظة الخليل وتوزيع 500 طرد بالإضافة إلى ما تم توزيعه من ملابس جديدة للعيد مع طبق حلويات وأكياس من الأرز».

وأضافت القيمري: «لم تقتصر أنشطتنا على مبادرة (يلا نكسب رمضان)، فقد حاولنا استثمار كل مناسبة لتقديم الدعم والمساندة، فقمنا بتوزيع ملابس مدرسية لطلاب المدارس بالإضافة إلى مستلزمات المدرسة عند افتتاح الموسم الدراسي للعام الدراسي 2011/ 2012، بالإضافة لمبادرة (حجاجنا.. قلوبنا معكم)، واقتصرت على توزيع كيس لـ300 من حجاج محافظة الخليل، يحتوي على مستلزمات بسيطة تساعدهم في سفرهم، وقد كان الهدف من المبادرة، مشاركة الحجاج فرحتهم من خلال تقديم هدايا رمزية لهم أثناء تجمعهم في الصباح قبل الانطلاق لأداء مناسك الحج في الديار المقدسة».

مبادرات متعددة

وعن المبادرات الأخرى، يقول إياد النتشة: «قمنا بمبادرة (مع شباب الخير.. الأضحى غير)، حيث وزعت المجموعة ملابس جديدة للعيد على العائلات المحتاجة في المدينة، بالإضافة إلى توزيع 250 كيلوغرامًا من اللحوم على ما يقارب 300 عائلة. وفي آخر أيام العيد، نظم شباب الخير يومًا ترفيهيًا للأطفال في قرية (بيت عوا)، لما يزيد على 300 طفل بالتنسيق مع المجلس القروي وبالتعاون مع وكالة الغوث (الأونروا)، وتجمع الأطفال في مدرسة من مدارس القرية، وتنوعت الفعاليات بين تقديم عروض للمهرجين، ورسم على الوجوه وعمل مسابقات جماعية، وفي نهاية اليوم تم توزيع هدايا على الأطفال.

وعن مبادرة «يوم اليتيم» المقامة في المدرسة الشرعية للبنات في الخليل، التي تضم سكنًا داخليًا لليتامى، قالت مديرة المدرسة كوكب سعيد: «لقد قدمت هذه المجموعة المؤلفة من شباب واعد الهدايا لما يقارب 400 طالبة من الأيتام، واستطاعت أن ترسم البسمة على وجوههن، وإشعارهن بمحبة الناس لهن». وأضافت: «لقد لمسنا سعادة الطالبات بهذا اليوم من خلال كتاباتهن المتعددة عن فرحتهن بهذا اليوم من خلال مادة التعبير». وترى سعيد أنهم على استعداد لدعم المجموعة معنويًا وماديًا.

مجموعة شباب الخير، أصبحت اليوم جزءًا من مجموعات أخرى، سارت على طريقها من أجل نشر الخير، أملاً في بناء مجتمع صالح قائم على التكافل، لا مجال لفقير أن يتواجد بين ثناياه، مدركين لدورهم الاجتماعي المحدد تلقائيًا، معتمدين على تمويل محلي سواء من مؤسسات المجتمع المحلية أو العلاقات الاجتماعية، مؤكدين أن عمل الخير أمر في غاية السهولة، فقط يحتاج لروح الانتماء للوطن والتعاون من أجل خدمته وبناء أركانه.

إحدى فعاليات المجموعة.

* طالبة في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت.

في مقابلة خصت بها «الحال»

رشيدة المغربي: نقبت لدلال حواجبها قبل أن تذهب عروسًا إلى فلسطين

محمد عطاري *

تسابقت الأقلام للكتابة عن الأسطورة دلال المغربي، فمنذ 1978 والصحف تكتب عن الشهيدة المغربي ولم تبخل في وصف أصغر تفاصيل العملية التاريخية المشهودة، التي قامت بها في وسط الأراضي المحتلة عام 48. وتسابقت أجهزة تسجيل الصوت والصورة للحديث عن شجاعتها وحنكتها العسكرية، لكن أحدًا لم يتذكر أنه يجب الحديث عن إنسانيتها أيضًا.

توجهت «الحال» إلى العميد رشيدة المغربي، وهي الأخت الكبرى للشهيدة، وحين سألناها عن ذكريات طفولتها مع أختها، شهقت شهقة مزجت بين الحزن والفرح والغيرة.. صمتت طويلاً ثم بدأت بالحديث.

«صعب على الكلام يعبّر عن مشاعر الإنسان، كيف بتقدر الكلمات توصف مشاعري تجاه أختي اللي شاركتني السرير من واحنا زغار لحد ما كبرنا وراحت على فلسطين.. دلال بعدها عايشة..! لإنها توأم روحي، وما دمت عايشة، دلال عايشة.. هي جزء من حياتي وما بقدر ألغي هذا الجزء إلاّ لما أموت..».

والد دلال ورشيدة ولد في يافا، وأصيب بجرح بالغ أثناء مشاركته في معركة الدفاع عن يافا مع الفلسطينيين عام 1948، فنقل إلى بيروت عن طريق القارب واستقر هناك بعد أن منع من العودة، وتزوج هناك وأنجب تسعة أطفال، بينهم الشهيدة دلال.

أسطورة في عمر الزهور

عمل سعيد والد الأطفال التسعة متعهد بناء في بيروت، وبالتالي، عاش الأطفال حياة ميسورة في كنف والدين صالحين، لكن حياتهم كان لا ينقصها إلاّ الوطن.

وتابعت رشيدة حديثها: «دلال كانت خجولة جدًا لدرجة كانت تغيظني وتقهرني، كنا نخجل نطلب من خالنا يساعدنا بدروس الرياضيات، وبنفس الوقت كانت دلال تحب كل الناس واجتماعية جدًا، كانت من عمر صغير تهتم بالناس وتسأل عنهم، تصوّر كيف لما بنت صغيرة بعمر 5 سنين تسألك: كيفك وكيف شغلك وتسألك عن كل أحوالك، كانوا يحبوا أسئلتها كثير في العائلة والجيران والمعارف».

قلادة دلال

صمتت رشيدة قليلاً وقالت ببهجة: دلال كانت رائعة وتفوق كل وصف، يجدر بي أن أذكر هذا الموقف للدلالة على عظم قلبها وحنانها الذي لا تستوعبه الكلمات، فعندما كانت دلال تبلغ من العمر 12 سنة، اشترت أمّي لنا قلادات ذهبية مكتوبًا على كل منها اسم كل بنت من البنات الأربع: رشيدة، ودلال، وجمال، وجدال، لكن قلادتي كانت أكبر قليلاً بسبب طول اسمي، فتأخر العمل بها يومين، بكيت لذلك، وعندما عرفت دلال السبب، دفعها قلبها الرقيق إلى أن تخلع قلادتها لحين وصول قلادتي.

دلال الممرضة

وتحدثت رشيدة عن ذكريات كثيرة جمعتها مع الشهيدة دلال وقالت: عندما كنت أبلغ من العمر عشر سنوات، كنا نرى البناء الذي بدأ أبي بترميمه وتأهيله ليكون أول مستشفى تابع لمنظمة التحرير، وكان أبي يعود في نهاية كل يوم منهك القوى ويحدثنا عمّا قام به من أجل فلسطين، فتحرّك دافع بداخلي ودلال كي نقدم أي شيء من أجل فلسطين، ومن هناك بدأنا نفهم معنى اللجوء ومعنى أن يعيش الإنسان مظلومًا كما أبي، بعيدًا عن أهله وإخوته وبلده، ما زاد من إصرارنا.

وتضيف: «عندما انتهى العمل وافتتح المستشفى باسم مستشفى القدس، توسّلنا إلى أبي كثيرًا وكنّا نبكي أحيانًا لكي نعمل في المستشفى بلا مقابل، كي نشعر أننا خدمنا فلسطين، وبالفعل وافق الدكتور فتحي عرفات، بعد توسّلات كثيرة على عملي أنا كوني الكبيرة بين إخوتي، وبالرغم من صغر سني، وأن أساعد الأطباء في المستشفى، فبكت دلال كثيرًا لأن الفرصة لم تواتها للعمل مثلي، وبعد عام كامل انتظرته دلال على أحرّ من الجمر كي تعمل في المستشفى وتقدّم شيئًا لفلسطين، وافق عرفات على عملها، وبدأت بالعمل فورًا في مساعدة الأطباء والعناية بالجرحى والمرضى الفلسطينيين، وكنا سعداء تمامًا بهذا العمل، إلى أن سافرت إلى فلسطين.

رشيدة المغربي وفي الصورة الإطار شقيقتها الشهيدة دلال.

قبل وداع الجسد

في العاشر من آذار، دخلت دلال على غرفتي -تروي رشيدة- ولفتت انتباهها صورتي الجديدة بالزي العسكري، فصارحتني بوجهتها صباحًا إلى فلسطين لكي تشارك زملاءها في العملية الشهيرة التي سوف تهز الكيان الصهيوني تحت اسم عملية الساحل (عملية كمال عدوان)، ونمنا مطمئنين في السرير الذي لا يتسع إلا لشخص واحد، لكنها استيقظت بعد منتصف الليل وأيقظتني قائلة: «قومي اعمليلي حواجبي لأني أريد أن أبدو كالعروس في الصورة التي سأتركها»، وبالفعل قمت ونقبت لها حواجبها كي تزداد جمالاً فوق جمالها.

في صباح اليوم التالي، الحادي عشر من آذار من عام 1978، ذهبنا معًا إلى المصوّر والتقط لها صورتها الأخيرة قبل أن يرحل جسدها عنّا، أوصلتها إلى محطة المواصلات لتتجه إلى فلسطين، ودّعتها وقبّلتها كثيرًا وقبّلتني وغابت في الزحام، لكن روحها ستبقى حاضرة في الوجدان عبر الزمان.

* طالب في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

العقم يغتال أحلام أسرى محررين بحياة طبيعية

سالي عبد الحق

رغم تحررهم، إلا أن فرحة بعضهم تظل منقوصة، إذ يقعون في مشاكل نفسية جراء ما تعرضوا له من تعذيب وانتهاكات داخل السجون، تصل آثارها إلى حد يهدد في استمرار حياتهم وكينونتهم بشكل طبيعي، أهمها العقم، الذي يغتال أحلام الأسرى المحررين بالعيش بشكل طبيعي بعد التحرر من ظلمة السجن وقهر السجان.

فقد أوضح د. أحمد أبو خزيران، مسؤول التعليم والبحث العلمي بمركز رزان لعلاج العقم بالمستشفى العربي التخصصي بنابلس، أن «معظم الذين يعانون من عقم بسبب تشوهات أو ضعف إنتاج الحيوانات المنوية هم من الأسرى المحررين الذين قضوا فترة طويلة داخل سجون الاحتلال، ولعب الاعتقال دورًا كبيرًا بالتسبب بالعقم، إضافة إلى عوامل أخرى قد تسبب العقم وتقلل من نسبة الخصوبة مثل تعرضهم للضرب على الخصيتين، وتعرضهم للسموم أو الإشعاعات التي تؤثر هرمونيًا عليهم، لا سيما على هرمون الاستروجين».

تجربة مريرة

بمرارة وأسى، يروي المحرر (د.ع) (45 عامًا) من رام الله تجربته في سجون الاحتلال ويصفها بأنها تجربة مريرة، فرغم مرور سنوات على تحرره، إلا أن شبح التعذيب لا يفارق مخيلته، ابتداء من لحظة الاعتقال إلى لحظة استقباله من محقق يحمل بيده عصا غليظة، استجوبه بتهمة المشاركة في طعن جندي، وعندما رفض الاعتراف إلا بوجود محامٍ، ألقاه المحقق أرضًا، وضربه على كل أنحاء جسمه، ثم على خصيتيه. كما تعرض لحالات تسمم غذائي نتيجة الغذاء السيئ الذي يقدم للأسرى، وعانى من التهابات شديدة نتيجة الإهمال الطبي وانعدام النظافة.

وبعد مرور عشر سنوات من الاعتقال بتهم عدة، لفقت له من قبل المحكمة العسكرية الاحتلالية، تحرر (د.ع) من سجون الاحتلال، إلا أن فرحته لم تكتمل، إذ عانى من العزلة فترة طويلة. وأضاف أنه تزوج منذ خمس سنوات ولم يستطع الإنجاب حيث يعانى من العقم، إذ تبين خلال الفحوصات والتقارير الطبية أنه يعاني من تشوهات بالحيوانات المنوية، وضعف جنسي.

حقل تجارب للأدوية

ويشير مدير عام الشؤون القانونية في وزارة شؤون الأسرى والمحررين المحامي جواد عماوي إلى أن «إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تجيز التعذيب»، مبينًا أن «الأسرى يتعرضون لأساليب تعذيب متنوعة، كالجسدية المتمثلة بالضرب المبرح والشبح، فهناك ثمانون نوعًا من التعذيب».

وأضاف عماوي أن «أساليب التعذيب تبدأ في اللحظة الأولى أثناء الاعتقال، مع شتائم وإهانات بهدف خلق جو من الرعب بحيث يركز المحققون على الضغط النفسي واستخدام الإصابات والحالة الصحية كوسيلة ضغط على المعتقل، إذ يتم الضغط عليه لتقديم العلاج له أو قضاء حاجته مقابل الاعتراف».

وتابع عماوي أن «بعض الأسرى استخدمت أجسادهم حقل تجارب لأدوية جديدة بهدف إثبات مفعول دواء ما، وقد تكون لها تأثيرات هرمونية سلبية على صحة وأجساد المعتقلين، إضافة إلى وضع الإسرائيليين مادة الكافور الكيميائية المحرمة قانونًا، والتي تعتبر مثبطًا جنسيًا في مياه الشرب لدى الأسرى، وقد يؤدي تناولها بشكل كبير إلى حالات عقم».

ويضيف أنه «لا توجد إحصائيات عن عدد الأسرى المحررين الذين يعانون من العقم، إلا أنه تم التعامل مع 30 محررًا تبين أنهم يعانون من حالات عقم ومشاكل جنسية، وهؤلاء من الأسرى المحررين الذين قضوا في السجن عشرة سنوات وأكثر».

آثار التعذيب النفسي

على الصعيد ذاته، يشير مدير وحدة البحث والتوثيق في مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب وسام سحويل إلى أن «تداعيات التعذيب النفسي التي يتعرض لها الأسرى تلعب دورًا كبيرًا في إحداث العقم كون آثارها طويلة الأمد».

ويوضح أن «لأسلوب التعذيب النفسي دورًا كبيرًا، حيث تشير دراسات وتقارير إحصائية إلى أن 64% من الأسيرات الفلسطينيات يتعرضن لأسلوب التعرية ثلاث مرات باليوم أو أكثر، الأمر الذي قد يؤثر على علاقتهن مع أزواجهن والعلاقة الجنسية بين الطرفين».

ويضيف سحويل أن «وجود معتقلات كالنقب بالقرب من مفاعل ديمونة يؤثر كيميائيًا وهرمونيًا على الجسد تأثيرًا خطيرًا».

وتابع أن «آثار ما بعد الاعتقال تلعب دورًا كبيرًا لدى المحررين، حيث تشكل ذكريات التعذيب لديهم شبحًا لا يفارقهم، محدثًا أمراضًا نفسية، من ضمنها الاضطراب النفسي، والاكتئاب، وآثار ما بعد الصدمة، والذهان، والانفصام، والحساسية المفرطة، التي يتطلب علاجها فترة طويلة، يضطر المريض خلالها لتناول أدوية قد تؤثر على نسبة الخصوبة لديه».

دور الأسرة والمجتمع

وأشار الطبيب النفسي ومدير مركز علاج وضحايا التعذيب د. محمود سحويل إلى أن «30% من الذين تعرضوا للتعذيب يعانون من اضطرابات نفسية عدة، من ضمنها الاكتئاب، التي قد تقلل نسبة الخصوبة، ليس عند الرجال فقط، وإنما عند النساء، لأن المكتئب يشعر أن الدنيا ضاقت به، الأمر الذي يدفعه إلى فقدان الأمل بالحياة وقلة الرغبة بالقيام بأي مجهود، وحتى لو كان جنسيًا».

وشدد على ضرورة تعاون المجتمع مع الأسرى المحررين، وأهمية دور الأسرة والمجتمع في مساندة الأسير المحرر للتأقلم بشكل فاعل.

ملأت الكنيسة وخيام الإضراب بالصلوات لأبنائها الأربعة الأسرى

أم رائد الحلبي: يا مريم القديسة صلي لأجلنا.. وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

ميساء الأحمد *

عليلة قلوب الأمهات الفلسطينيات على ولد واحد لها يجلس خلف القضبان. فكيف هو حال أم لها أربعة خلف القضبان!

منذ عام 2004 وأم رائد الحلبي تتضرع إلى السيدة العذراء تدعو لها وتشكو له وجعها على أولادها الأربعة رائد ونائل وناصر ورامي، الذين تدافع فيهم قدر الفلسطينيين المعذبين في الأرض واحدًا تلو الآخر إلى السجون الإسرائيلية منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

فرقهم الأسر

تقول أم رائد: «ثلاثة من أولادي هذا ثاني اعتقال لهم ورامي أول اعتقال، منذ 2004، وفي كل مرة يأتي الجنود إلى البيت ويدمرونه ويأخذون واحدًا تلو الآخر، الوضع صعب جدًا، فأولادي لم يجلسوا مع بعضهم في البيت إلا قليلاً، ومنهم من لم ير الآخر منذ سنين». وأبناء أم رائد موزعون على أربعة سجون.

«حالهم كحال غيرهم من الأسرى؛ مشاكسون متمردون، وآخر ما فعلوه إضراب مفتوح عن الطعام لمدة 28 يومًا»، هكذا تصف أم رائد حال أولادها في زيارتها الأخيرة لهم وتقول: «نائل وناصر أضربا عن الطعام ومعنوياتهما عالية جدًا، لم أشعر أنهما مضربان، خرجا من التحقيق إلى الإضراب مباشرة لدرجة أني في زياراتي الأخيرة لم أر من نائل سوى عينيه، فجسده نحيل جدًا ولحيته طويلة».

وتستكمل أم رائد حديثها وتقول: «نائل تم قمعه وتعذيبه لفترة طويلة، وكان يضرب عن الطعام بشكل فردي، وتضامن مع خضر عدنان وهناء شلبي، فقمعوه في عسقلان ثم السبع في الإضراب الأخير. هددني الضابط بأنه سيعود ويأخذه عندما يخرج لأنه متمرد ويضرب كثيرًا عن الطعام».

لم تحضر أم رائد منذ 2004 مناسبات الفرح لأقاربها وأصدقائها، فهي مجروحة وقلبها معلق في سجون السبع وعسقلان ونفحة وعوفر، تقول إنها لا تشارك غيرها خوفًا من أن تشعرهم بحالها وألمها على أولادها فتنغص عليهم فرحتهم.

الإيمان بالرب يثبتنا

في الإضراب الأخير، قالت أم رائد: «أضربت عن الطعام ثلاثة أيام، وبعد ذلك اختل توازني، فصرت آكل كل يوم وجبة خفيفة فقط كنوع من التضامن، وكل يوم في المكان الذي يوجد فيه خيمة أو اعتصام أحمل صورة أولادي وأنزل. رائد كان يوصيني أن أذهب ولا أبقى في البيت وحدي، حتى يخفف عني وأرى غيري من أهالي الأسرى».

وفي أيام الأحد، تذهب أم رائد للكنيسة لأداء الصلاة والدعوة لأبنائها، وتقول إن الإيمان بالرب هو ما يثبتها ويثبت أولادها، فهو خلقهم وهو متكفل بهم، وبعد القداس نخرج مع الخوري إلى الخيمة لنصلي لهم ليثبتهم الرب ولا يتراجعوا. كثيرًا ما تردد أم رائد ما قاله السيد المسيح: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله»، وتقول إنها كثيرًا ما تقف أمام صورة السيدة العذراء في بيتها وتناشدها، فهي سيدة الجميع، لأولادها ولغيرهم من الأسرى لأنهم جميعًا أبناؤها، تصلي وتقول: «السلام عليك يا مريم.. يا ممتلئة نعمة الرب معك.. مباركة أنتِ في النساء ومباركة ثمرة بطنك يسوع.. يا مريم القديسة يا والدة الله.. صلّي لأجلنا نحن الخطاة.. الآن وفي ساعة موتنا.. آمين».

سياسة فرق تسد

وتقول أم رائد: «في قضيتنا ووطننا، لا يوجد فرق بين مسيحي ومسلم، فنحن جميع فلسطينيون ودمنا واحد. عندما أذهب لزيارة أو محكمة أولادي، أكون وحدي المسيحية، ولكني لا أشعر بأي فرق، حتى إنهم ينادونني بالحجة دائمًا»، وتكمل أنه حتى في السجن لا يوجد فرق بين أولادها وغيرهم من الأسرى على أساس الديانة، فكلهم إخوة، وتقول: «في رمضان عندما يجتمع الشباب لصلاة التراويح، يأخذون نائل معهم حتى لا يتفرد به السجانون، وهذا يدل على تلاحم كبير بينهم، وأن الإيمان لله سواء في الإسلام أو المسيحية».

وتتابع أم رائد: «الاحتلال دائمًا يعمل بناء على سياسة فرق تسد، فهناك تفرقة عند الإسرائيليين بين المسيحي والمسلم، خصوصًا في التفتيش»، وتضيف: «عدة مرات أثناء التفتيش تسألني المجندة عن الحجاب، فأجيبها بأني لا أحبه ولا أوضح لها أني مسيحية أو مسلمة، وفي الزيارة الأخيرة نادوني بالسيدة ألكسندرا، مع أنهم بالعادة يقولون يا حجة، واستغربت من ذلك، فهذه وسيلة استفزاز وتفرقة ولكن نحن لا نقبل، هم يفعلون ذلك حتى يكرهنا أهلنا المسلمون».

وتضيف أن الإسرائيليين قالوا في إحدى المرات لابن أخ زوجها المحبوس لـ28 عاما إنهم سيعيدون تربية المسيحية فيهم لأنهم ليس لهم وطن.

وآخر ما فعله الاحتلال باتجاه عائلة الحلبي، وهو ما أثار غضب أم رائد والعائلة، أن إحدى الصحف الإسرائيلية الثلاث في شهر آذار المنصرم، كتبت تقريرًا عنهم تحت عنوان «عائلة مقدسية قبطية إرهابية». تعقب على ذلك أم رائد وتقول: «أريد أن أفضحهم أمام العالم وأريهم من هو الإرهابي، الذي يقتل ويدمر ويخرب، أم أن الإرهابي هو الذي يدافع عن وطنه، فكل سياستهم تفرقة وتخريب، وذلك واضح من خلال كلمة قبطية في عنوان التقرير».

أم رائد.. ايقونات في اليد وأيقونات على الرف.

* طالبة في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

تضامنًا مع إضراب الأسرى

حافظ عمر: المصمم الذي وحد وجوه ملايين الفلسطينيين على الفيسبوك

أسماء مرزوق *

صورة الأسير معصوب العينين، بالألوان البنية التي وحدت خلال أيام وجوه ملايين المشتركين في موقع فيسبوك، الذين غيروا صورهم الشخصية تضامنًا مع الأسرى في سجون الاحتلال خلال إضرابهم المفتوح عن الطعام.

هذه الخطوة التضامنية الأنجح جاءت بناء على مبادرة أطلقها الناشط الشبابي والفنان حافظ عمر، ووصل التفاعل مع المبادرة ذروته في الرابع عشر من أيار الماضي قبل توقيع اتفاقية إنهاء الإضراب مع الاحتلال. وتجاوز عدد المشتركين الذين استجابوا لدعوة توحيد الصورة 27 مليون مشترك.

صفحة «كلنا خالد سعيد» انطلاقة كبيرة

ولم يتوقع حافظ عمر صاحب الفكرة نجاح المبادرة بهذا الشكل الكبير، فقد كان توقعه أن تؤثر فقط بالشارع الفلسطيني، لا العربي والعالمي، ويعبر عمر عن ذلك بالقول: «الفيسبوك أصبح بنيًا بشكل مخيف، كان توقعي أن تنجح الحملة بين الفلسطينيين نتيجة حالة تبني قضية الأسرى التي فرضها الحراك الشباب ونتيجة لتواصلي مع العديد من الشبكات الفلسطينية المعنية بقضية الأسرى أيضًا».

صفحة «كلنا خالد سعيد» المصرية التي تضم أكثر من مليونين مشترك، ربما كانت السبب الأكبر في انتشار الصورة عالميًا، فرغم الانشغال بالانتخابات المصرية خلال تلك الفترة، استجابت الصفحة لدعوة حافظ عمر، ودعت أعضاءها لتوحيد صورهم الشخصية، واستمرت لأكثر من يومين بنشر معلومات عن أوضاع الأسرى في سجون الاحتلال وتفاصيل عنهم. ويضيف عمر: «تواصلت مع صفحة كلنا خالد سعيد التي نشرت لي سابقًا العديد من الملصقات الخاصة بالثورة المصرية، وتبنت الصفحة الموضوع وبدأت معظم صفحات الثورة المصرية بملايين المشتركين تتفاعل مع المبادرة، وكان التفاعل أشبه بالدومينو، وقد عكس لنا حجم التعاطف العربي مع قضية الأسرى».

صورة سيئة فنيًا

حافظ عمر الفنان التشكيلي والمصمم الجرافيكي الذي يبلغ من العمر 29 عامًا، صمم عشرات البوسترات التي اشتهرت وحملت في ميادين دول الربيع العربي، ابتداءً من تونس، مرورًا بمصر، وانتهاء بسوريا، كما ظهر تركيزه على قضايا الأسرى منذ إضراب الشيخ خضر عدنان ثم هناء شلبي، وصولاً إلى الإضراب الذي شارك فيه أكثر من1600 أسير منهم شقيقه سعد عمر.

ويصف عمر الصورة التي رسمها ونشرها عبر الفيسبوك بأنها صورة سيئة من الناحية الجمالية، وهذا بالذات ما أعطاه إحساسًا بنجاح المبادرة، ويقول عمر: «لو حاكمنا الصورة بعيدًا عن السياق، فهي تعيسة بكل الأشكال، فالألوان سيئة، والملامح غير موجودة، إضافة إلى الأحرف العبرية على صدر البلوزة، كلها أمور صارمة ومحبطة، وأن يضعها كثيرون كصورة للتعريف بهم على الفيسبوك رغم كل بشاعتها أمر رائع ويعبر عن التزام بموضوع الأسرى، حتى لو أن الأمر لا يتطلب الكثير من الجهد، إلا أن العمل الجماعي أعطى رمزية عالية للصورة».

الناشط الشبابي والفنان حافظ عمر.

الحراك الشبابي

خلال إضراب الأسرى عن الطعام الذي دام 28 يومًا، نظمت عشرات الفعاليات التضامنية، ويرى عمر المنخرط في الحراك الشبابي أن الحراك أثبت نفسه رغم كل المحاولات للتقليل من شأنه إعلاميًا، ويضيف عمر: «من خلال كلامي مع شقيقي سعد في الأسر، فقد شعر الأسرى بانتصار كبير، لأنهم لم يحققوا مطالبهم فقط، بل حركوا الشارع، ولأنهم شعروا أنهم غير وحيدين حتى لو كان كثير منهم محكومين أحكامًا عالية».

ويتابع: «أنا متأكد أن الجهود السياسية لم تؤثر أبدًا على نجاح الإضراب، ففي الأيام الأخيرة، بدأ التخوف الإسرائيلي من اتساع نطاق التضامن مع الأسرى».

الملكية الفكرية

وكان اللافت أن صورة السجين التي غزت الفيسبوك، خلال أيام الإضراب، سرعان ما أخذت أشكالا عدة، فالبعض حولها إلى سجينة محجبة، أو رجل ملتحٍ أو آخر يحمل بندقية، والبعض انزعج من الأحرف العبرية التي ترمز لمصلحة السجون الإسرائيلية، فبدلها بكلمات عربية، مثل «مي وملح» رمزًا للإضراب، أو جملة «أنا متضامن»، لكن هذه التغيرات كلها لم تثر استياء عمر مصمم الصورة الأصلية، الذي لا يهتم أصلا بتوقيع اسمه على ملصقاته، ويتقبل ببساطة أي تغيير عليها، حيث يقول: «ليس عندي طموح فني أن يتم تعريفي كفنان، أمارس تصميم الملصق السياسي كنشاط متخصص ضمن نشاط سياسي عام، ما يهمني هو أن ينتشر بوستري وأن يستخدمه الناس، وهذا يسعدني، كل بوستراتي تم تعديلها من قبل آخرين من دون استشارتي، فهناك اتفاق ضمني بيني وبين الناس، عملي هو ملك الجميع».

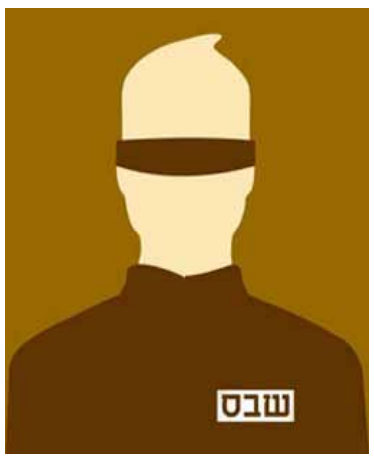

البروفايل الموحد تضامنًا مع الأسرى.

حيطان

«حيطان» هو اسم صفحة حافظ عمر على الفيسبوك، ينشر فيها كافة ملصقاته ذات المواضيع السياسية المختلفة، وتضم الصفحة أكثر من 26 ألف مشترك. ورغم نشاط عمر على الفيسبوك، إلا أنه يعتبره غير كافٍ لإحداث تغيير، ويسعى دائمًا للنزول إلى الشارع.

ويضيف: «الفيسبوك مهم من ناحية إعلامية، لكن يجب أن يكون متزامنًا مع حراك على الأرض، فالتغيير يحدث في الواقع لا على الفيسبوك».

* طالبة في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

ما هي آثار التغيرات المناخية على المواطنين؟

رهف البريمي

مع ازدياد نسبة التلوث وانتشار الغازات السامة من المصانع وعوادم السيارات، وارتفاع درجات الحرارة في بلادنا، التي يعد مناخها معتدلاً؛ بدأنا نشاهد تغيرًا في الفصول، فقلت نسبة هطول الأمطار، وارتفعت درجات الحرارة في أيام الشتاء القارس، وازدادت نسبة الصقيع الذي يقضي على المزروعات، فتأثر الاقتصاد الوطني، الذي تعد الزراعة أحد مقوماته، وارتفعت نسبة الفقر، وبات المواطن يعاني عدم توفر الغذاء والماء الكافي، وازدياد التلوث البيئي. «الحال» سألت مواطنين عن أثر التغيرات المناخية حياتهم.

يقول التاجر رامز حنا صاحب سوبر ماركت الجاسر في بيرزيت إن الحر الشديد يزيد من مصاريف المحل بالنسبة إلى الثلاجات والمكيفات، بالإضافة إلى الدوار الذي تسببه الشمس والصداع والعرق. كما أن الصيف لا يكفي لنوم عميق، مسببًا ضعف الطاقة وزيادة الضغط.

يقول المدير العام لمالية حركة فتح محمد البريمي إن «تغيير المناخ له آثار صحية على النظم الأيكولوجية والاجتماعية تشمل تغيير نمط حدوث الأمراض المعدية وإنتاج الغذاء على الصعيد المحلي، وبالتالي نقص التغذية، ونشوء عواقب صحية ناجمة عن نزوح السكان وتعطل الأنشطة الاقتصادية». وأضاف: «في الحر الشديد ترتفع مستويات حبوب اللقاح وسائر المواد الموجودة في الهواء، ما يسبب لي حساسية، ويمكن أن يؤدي إلى الإصابة بالربو»، منوهًا إلى ضرورة تغيير عاداتنا وسلوكياتنا البيئية الخاطئة وأنماط حياتنا الاستهلاكية المعاصرة، لأن التصرفات والأنشطة البشرية مسؤولة أيضًا عن التدهور المناخي.

صاحب مطعم في بيرزيت عماد الجاسر بدا أكثر تفاؤلاً، إذ إن التغييرات المناخية لا تؤثر عليه مطلقًا، وقال: «الإنسان ابن الطبيعة، وبالتالي عليه أن يتأقلم مع كل التغيرات المناخية الطارئة».

ويبدو أن صاحب تكسي الزيتونة «جميل عبده» أكثر سعادة بتغيرات المناخ، فمردوده الاقتصادي يزداد في ارتفاع وانخفاض الحرارة. ففي أيام المطر، تزداد طلبات الناس، وفي ارتفاع درجات الحرارة، تزداد الرحلات والأعراس ونزهات العطلات، فهو محظوظ اقتصاديًا في الحالتين. لكن عبده نوه إلى أن طاقته في أيام البرد أكثر منها في موجات الحر الشديد، الذي غالبًا ما يحمل في طياته قلة النوم والكسل.

طالبة العلوم السياسية في جامعة بيرزيت نغم لدادوة تقول إن تغير المناخ يؤثر على وضعها الصحي، فارتفاع درجة الحرارة يسبب لها حساسية بالإضافة إلى جفاف الشعر والبشرة. بينما الجو المعتدل يزيد من حماسها وحيوتها، أما في حالة ارتفاع الحرارة، فهي أقل نشاطًا وطاقة. وفي بعض الأحيان، تعاني من عصبية وملل وضغط نفسي.

أما حاتم أبو زيد، الطالب في جامعة بيرزيت، فمعاناته مع التغير المناخي أكبر، فلديه حساسية من تقلبات الجو. يقول: «إن تغير درجات الحرارة بشكل مستمر يؤثر على الجيوب ما يؤدي إلى احتقان يسبب صداعًا شديدًا وهذا ما ينعكس على جسدي، مسببًا لي الهزال العام».

تقول طالبة الهندسة في جامعة بيرزيت حنين الفقيه إن التغيرات المناخية تؤذي لون بشرتها وتسبب الجفاف لشعرها، وفي الغالب يصاحب التغيرات المناخية تقلب في الحالة النفسية، فهي في الجو المعتدل تكون «مفرفحة». وأضافت أن التغيرات المناخية الطارئة تؤثر على مخططاتها للخروج مع الأصدقاء، وقد تضطر أن تلغي موعدًا مهمًا، لأن الجو يمكن أن يؤثر صحيًا، وبخاصة إذا كنت تعاني من حساسية تجاه التغير المناخي.

الإسعاف والدفاع المدني يشتكون هذه المرة

في مدينة دورا: أسماء الشوارع.. دليل للمجهول

محمد عواودة *

في عام 2003، بدأ مشروع تسمية وترقيم الطرق في مدينة دورا، بتمويل من الحكومتين النرويجية والهولندية، وذلك في إطار ما كان يسمى التشغيل الطارئ «تشغيل العاطلين عن العمل لفترات محددة»، فتمت في هذا المشروع تسمية 132 شارعًا في المدينة، وذلك حتى يسهل الاستدلال على منازل المواطنين من قبل أصحاب الشأن، وبخاصة البلدية ممثلة بقسم خدمات الجمهور.

لكن وبعد مضي ما يقارب التسع سنوات على إنشاء المشروع، تظل عملية تسمية الشوارع في نظر الغالبية من المواطنين ضربًا من العبث، وشيئًا لا فائدة منه، فما الفائدة إذًا من عملية تسمية الطرق إذا كان الإسعاف أو الدفاع المدني لا يعرفان شوارع دورا بأسمائها، وإنما من خلال خبرتهم ومعرفتهم المسبقة؟ وما الفائدة من تسمية الشوارع إذا كان الدفاع المدني يستدل على طالب النجدة من خلال الدخان أو من تجمهر الناس؟! فهل كانت تسمية الطرقات وترقيمها عملية عبثية لا طائل من ورائها؟

يقول المواطن أحمد عقيل إن ابنه مرض ذات يوم، فطلب الإسعاف لنقله إلى المستشفى، وزود ضابط الإسعاف باسم المنطقة والشارع الذي يقطن فيه، لكن ما أثار استغراب المواطن ودهشته أن طاقم الإسعاف لا يعرف أين هذه المنطقة وأين هو شارعها، فاضطر عقيل لإرسال أحد أبنائه لمركز الهلال الأحمر ليدل الطاقم على مكان البيت!

متسلحين بهذه الحادثة، توجهنا إلى أصحاب الشأن ومنها البلدية والدفاع المدني والهلال الأحمر، للسؤال عن مدى فاعلية مشروع تسمية الطرقات في المدينة. فقصدنا البلدية وبالتحديد وحدة نظم المعلومات الجغرافية التي قال المسؤول عنها المهندس فادي عمرو إن الهدف الأساسي للمشروع كان تسهيل الوصول للمواطنين وإيجاد عناوينهم، وهو أي المشروع، بداية لبناء نظام GIS بالدرجة الأولى.

وأضاف عمرو أن البلدية ليست مسؤولة عن تزويد المؤسسات أو جهات الاختصاص بخرائط توضح أسماء الطرق، بل إن هذه الجهات هي التي يقع على عاتقها مراجعة البلدية وطلب نسخة عن خريطة الشوارع، مؤكدًا على ضرورة التنسيق بين البلدية والجهات ذات الاختصاص لتزويدها بخرائط الطرق وأسمائها لتسهيل عمل هذه الجهات وتقديم الخدمات بفاعلية للمواطنين.

وبخصوص متابعة البلدية للافتات التي تحمل أسماء الشوارع، نفت موظفة قسم التخطيط في البلدية غادة مسلم وجود أي نوع من الرقابة أو المتابعة لهذه اللافتات، فأي ضرر أو إزالة لها لا يحرك الجهات المسؤولة في البلدية لإعادة ما أزيل أو تصليح ما تضرر!

أما الهلال الأحمر في المدينة فقد كان له رأي آخر، حيث قال ضابط الإسعاف إسماعيل الطميزي إن المشروع لم يؤتِ ثماره، وإنه لم يساعد في وصول الجهات المعنية بتقديم الخدمات للمواطنين، فمثلاً كانت ترد إلى الإسعاف معلومات عن إصابات في أماكن معينة في المدينة، ولا يستطيع طاقم الإسعاف التعرف على تلك الأماكن بسهولة، فيلجأون إلى سؤال المارة أو أهل المنطقة عن المكان المقصود، ما يعرقل وصول طاقم الإسعاف في الوقت المناسب!

وعن وجود خريطة بأسماء الشوارع لدى طاقم الإسعاف، قال الطميزي إن مثل هذه الخريطة غير موجودة لدى طاقم الإسعاف لأنه لا فائدة مرجوة منها، إذ من الصعب تحديد الشوارع بسرعة وسهولة على خرائط بدائية، داعيًا الجهات الرسمية لتوفير نظام GPS في سيارات الإسعاف لتتمكن من الوصول للهدف بالسرعة القصوى لأي نداء استغاثة.

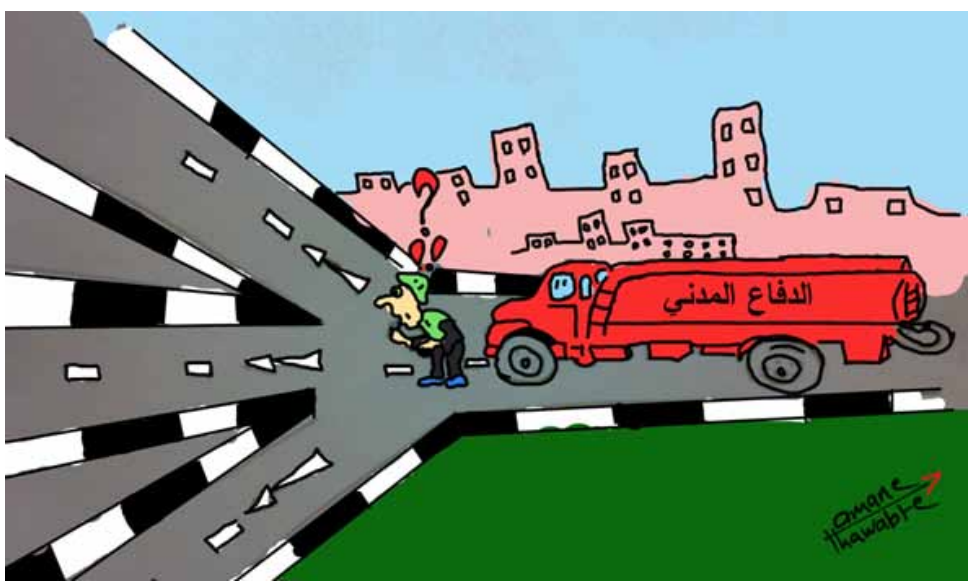

وقد دعم رأي الهلال الأحمر تصريح الدفاع المدني بخصوص تسمية الشوارع، إذ أكد الملازم أول خليل الرجوب أن الدفاع لم يستفد قيد أنملة من هذا المشروع، وأنه يعتمد في تعرفه على أماكن وقوع الخطر على خبرة ومعلومات طاقم الدفاع، حيث إن الغالبية منهم من أبناء المنطقة، ويعرفونها جيدًا. ومن المثير للدهشة قول الرجوب إنه وفي بعض الأحيان يستدلون على أماكن وقوع الخطر والحرائق من تجمهر الناس أو من الدخان المتصاعد في السماء!

فما مدى فعالية مشروع تسمية الطرق إذا لم يستفد منه المواطنون ولا حتى أطقم الدفاع المدني والإسعاف كأهم جهات يحتاجها المواطن عند حدوث الخطر؟! سؤال طرق أبواب المسؤولين واستمع لوجهات نظرهم، لكن الإجابة التي يؤمن بها المواطن هي التي يراها على أرض الواقع، فانعدام المعرفة بأسماء الشوارع من قبل الجهات صاحبة الشأن هي الترجمة الفعلية لمدى فشل مشروع تسمية الطرق!

* طالب في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

ضرب طلبة المدارس.. مستمر رغم قرار التربية بمنعه قطعيًّا

منجد أحمد أبو شرار*

«تعاركت وزميلي في الصف. أتى الأستاذ فضربني وزميلي. ركلني بقوة فكسرت يدي على الفور». هذا ما يقوله الطالب عبيدة في الصف العاشر. طالب آخر هو نور في الصف السابع يقول: «لم أجب عن السؤال بشكل صحيح، أوقفتني المعلمة بجوار سلة المهملات وضربتني سبع عصيّ على يدي». ولا يتوقف الأمر على مدارس الذكور، بل يطال أيضًا مدارس الإناث، إذ تقول سناء وهي طالبة في الصف الثالث: «أخطأت في كتابة كلمة، فطلبت الممحاة من زميلتي، غضبت المعلمة مني بحجة تشويش الحصة؛ فأمرتني أن أقف على قدم واحدة بجوار سلة المهملات وأن أضع وجهي على الحائط.. وكنت حزينة جدًا».

وهكذا يواصل سلوك الضرب والعقاب الشديد في المدارس يومياته، ولا رأي نهائيًا في الموضوع الذي يؤرق الأطفال أولاً، والأسر والمؤسسات التربوية، على الرغم من قرار وزارة التربية والتعليم بمنع الضرب قطعيًا في المدارس. «الحال» تعيد تسليط الضوء على هذا الموضوع، وتراجع مواقف الأسرة والمؤسسات التربوية، علها تصل إلى جديد.

أولياء الأمور بين الرفض والتقييد

أم محمد، وهي والدة لثلاثة أطفال في المدارس، تقول: «أنا ضد ضرب الطالب تحت أي ظرف، الطالب يتعلم بالكلمة وليس بالعصا، هذا أسلوب متخلف في تعليم الطلاب، وهناك العديد من الأساليب لتعليم الطالب».

وعلى العكس من أم محمد، يقول أبو خليل، وهو والد لأربعة أطفال في المدارس: «أحيانًا يجب ضرب الطالب، والعصا لمن عصى، على أن يكون ضربًا تأديبيًا لا يترك أثرًا نفسيًا أو بدنيًا على الطالب، ويجب أن يكون آخر الوسائل في التعامل مع الطالب، وأنا ضد ضرب الطلاب في المرحلة الأساسية على الإطلاق؛ لأنه يسبب كرههم للمدرسة والعلم والمعلم».

الضرب.. بدائل وأضرار

تقول المرشدة التربوية عبلة القزقي: «إن الضرب هو أسلوب غير مقبول تربويًا، ولا يجدي غالبًا في تعديل سلوك الطالب على المدى البعيد، بل قد يصبح الطالب أكثر عنادًا ويحاول تكرار الخطأ بعد العقاب. الطالب ليس ملاكًا معصومًا عن الخطأ، حتى الكبار يخطئون».

وحول الآثار السلبية لضرب الطلاب، تقول القزقي: «الاكتئاب والقلق والانطوائية وكره الحياة من أخطر الآثار النفسية التي قد يصاب بها الطالب في حال تعرض للضرب، والضرب قد يبعد الطفل عن تعلم المهارات الحياتية الأساسية، كفهم الذات والثقة بالنفس والطموح والنجاح والمثابرة، هذا عدا عن عدم تقبل فكرة الذهاب إلى المدرسة وما سيكون له من أثر على مستقبل الطالب».

وتضيف القزقي: «هناك العديد من البدائل التربوية للضرب أهمها تفهم دوافع السلوك الخاطئ ومعالجتها بدلاً من ضرب الطالب، وأيضا إعطاؤه فرصة للترويح والمرح خصوصا في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها أبناؤنا من احتلال وقهر، وتوضيح السلوك الصحيح من الخاطئ بالحوار، فالإنسان يولد ويموت وهو يتعلم.

الطبيب بسام الشبعان أخصائي طب أطفال يقول: «إن بنية الطلاب في المرحلة الأساسية تكون ضعيفة جدًا مقارنة بالمدرس، ومع الأسف هناك قسم من المدرسين لا يراعون ذلك، فضرب الطالب «كفًا» على وجهه بصورة عفوية من مدرس وزنه 80 كغم قد يؤدي إلى كسر فك الطالب أو خلخلة أسنانه، وقد يصاب بأضرار في قدراته السمعية، كما أن ضرب الطالب بالعصا على يده قد يكسر يده أو يسبب تورمًا في طبقات الجلد، وهناك العديد من الطلاب خاصة في المراحل الأساسية أصبحوا يعانون من التبول اللاإرادي جراء ركله من قبل مدرس على مؤخرته أو في مناطق حساسة من جسم الطالب كالمسالك البولية، ونحن نلاحظ ذلك من خلال حالات المرضى لدينا».

«التربية والتعليم»: الضرب ممنوع قطعيًا

وعن موقف وزارة التربية والتعليم من الضرب، يقول النائب الإداري لمدير مديرية التربية والتعليم في جنوب الخليل خالد أبو شرار: «الضرب ممنوع في المدارس منعًا قطعيًا، والبديل هو قانون مجلس الضبط، كل مخالفة أمامها عقوبة تبدأ من الإنذار وتنتهي بالفصل ولا تشمل الضرب، ووفقا للمادة (7) من تعليمات الانضباط المدرسي في المدارس الحكومية والخاصة، فإنه لا يجوز معاقبة الطالب بالضرب أو بأية صورة من صور العقاب البدني أو المعنوي، كما أن المراسلات الرسمية من «وزارة التربية» توصي بمنع الضرب في المدارس بكل صوره.

وعن دور وزارة التربية في التقليل من حوادث العنف المدرسي، يقول أبو شرار: «عملت الوزارة على إيجاد مرشد تربوي في كل مدرسة لتعزيز وعي أطراف العملية التدريسية بضرورة تجنب استعمال الضرب في المدارس، وليس من السهل استجابة طالب تعود في منزله على الضرب لأستاذ يعمل وفق إجراءات تمنع الضرب».

ويضيف أبو شرار: «في حال تقدم ولي أمر الطالب بشكوى إلى وزارة التربية والتعليم، يشكل مجلس ضبط للتحقيق في الشكوى، وإذ ثبت ضرب المدرس للطالب، تتخذ بحقه عقوبة تبدأ من الإنذار وتنتهي بالفصل، وسبق أن أنفذت هذه العقوبات باستثناء الفصل، ووزارة التربية لن تكون غطاء لأي مدرس يثبت ضربه لطالب».

أطفال اليوم رجال المستقبل، كم هو مؤسف أن يكون أحد أبنائنا الذين اعتادوا على الضرب في المدرسة في مؤتمر، فإذا حرك أحدهم يده فجأة، خاف وارتعب!

* خريج في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

ضبط 163 تجاوزًا في الحمولة القانونية خلال عام

حافلات رياض الأطفال.. الموت والحوادث واردة في أي لحظة

حاتم أبو زيد*

تصاعدت الأصوات في الآونة الأخيرة حول الأطراف التي يقع على عاتقها تحمل المسؤولية القانونية والفعلية لتوفير النقل السليم والآمن للأطفال عبر حافلات نقل الرياض والحضانات. وتبقى أرواح أطفال الحضانات مرهونة بالقدر وسط جهات مسؤولة كثيرة ترمي بالحمل على بعضها وتتنصل من المسؤولية المباشرة التي تعني الرقابة والاعتناء والمتابعة الحثيثة لحماية أطفالنا من أية حوادث وكوارث. «الحال» التقت العديد من الجهات ورصدت الواقع المرير في هذا القطاع.

تجاوزات بالجملة

المتابع يسمع يوميًا عن ضبط حافلات تحشر داخلها عشرات الأطفال فوق الحمولة القانونية. يفيد مدير التنظيم والإدارة في إدارة المرور الرائد رياض بني عودة أن حجم هذه التجاوزات وصل إلى 163 حالة خلال النصف الثاني من العام المنصرم وحتى الآن، ما يتطلب مضاعفة الجهود في سبيل الحد من هذه التجاوزات التي جاءت موزعة كالتالي: 13 حالة في أريحا، 42 حالة في الخليل، 59 حالة في بيت لحم، 4 حالات في جنين، 6 حالات في رام الله، 22 حالة في طولكرم، 15 حالة في نابلس، وحالتان في قلقيلية.

الشرطة: المسؤولية الكبرى على عاتق الأهل

وقال بني عودة: «يتعلق دورنا في الإدارة بالرقابة أولاً على مدى تطبيق المواطنين لقواعد السلامة العامة فيما يتعلق بالتعامل مع الطريق». وأضاف: «المسؤولية الكبرى تقع على الأهل في الحد من هذه الظاهرة عبر التوعية المستمرة والدورية لأبنائهم فيما يتعلق بالإجراءات المرورية السليمة التي تضمن لهم الأمان، كما أن المجتمع الفلسطيني يعاني من ضعف كبير في الثقافة المرورية التي تعد إحدى أهم الركائز التي يجب أن يلتزم بها المواطن حتى يتسنى له التعامل السليم مع الطريق».

وزارة التربية: المسؤولية جماعية

وقال محمد أبو زيد وكيل وزارة التربية والتعليم إن كافة الوزارات الحكومية وبالشراكة مع مؤسسات المجتمع المدني والأهل، كل من موقعه يتحمل جزءًا من مسؤولية التعامل مع هذه الظاهرة التي أصبحت أمرًا مقلقًا يقض مضجعنا جميعًا.

وأشار أبو زيد إلى وجود معيقات تجعل من إمكانية ضبط هذه الحالات غير القانونية محدودًا، منها عدم قدرة الشرطة وطواقم الدفاع المدني على التواجد في الطرق بين المحافظات بشكل دائم، وبأعداد تضمن التغطية الكاملة. وقال: «أيضًا هناك مسؤولية على المدارس الخاصة والتابعة لوكالة الغوث ورياض الأطفال فيما يتعلق بعدم التقيد بتعليمات الوزارة وخاصة في مجال الرحلات المدرسية». في إشارة إلى رحلات مدرسية داخلية يتم فيها تحميل الحافلات بأكثر من طاقتها من الطلبة والأطفال.

تشتت الرؤية وضعف الإستراتيجية

وقال عمر عنبر مدير عام التعليم العام، وهي الجهة المسؤولة عن منح التراخيص لحضانات الأطفال: «إن الجهود التي تبذلها الوزارة في هذا السياق غير كافية، وهناك عدة عوامل تجعل من إمكانية الرقابة والسيطرة على قطاع رياض الأطفال ضعيفة، من ضمنها عدم إشراف السلطة إشرافًا مباشرًا على هذه القطاع، وبالتالي يمكنني القول إن (أيدينا مربطة)، فنحن لسنا قادرين على توفير المساعدة والدعم من القطاعات الدولية الضالعة في هذا المجال، كما أننا غير قادرين على تطبيق المعايير القانونية المتعلقة بدور الحضانة والرياض على القطاع الخاص».

ويضيف عنبر أن «المشكلة التي تزيد من المخالفات في هذا القطاع تتعلق بوجود ثلاثة أنواع من الحضانات: النوع الأول هو الحضانات التي ترخص وفق القانون وتلتزم بمعطياته، والثاني ممن يعجز عن الترخيص لأسباب مختلفة منها التهرب الضريبي أو عدم القدرة على ضبط أعداد الأطفال داخل الحافلة، أما الثالث وهو الأخطر، فهو (دور الحضانة الخفية) التي تعمل دون علم الوزارة، وبالتالي هنا يأتي دور اللجان المحلية ممثلة بالمجالس والبلديات في التعاون مع الوزارة والجهات الأخرى بهذا الصدد في سبيل ضبطها وفق القانون.

الأهل: المسؤولية تتحملها الحضانة أولاً وأخيرًا

ويرى مجلس أولياء أمور الطلبة في دار الحضانة في قرية دير قديس ممثلاً بمنسقته سحر أبو زيد أن الدور الأعظم يتعلق بعدم التزام دور الحضانة وخاصة في البلدة بشروط الأمان والمعايير التي تفرضها الأجهزة الأمنية، طمعًا في ادخار الرسوم المخصصة للنقل في سبيل تلبية احتياجات أخرى، إضافة إلى تدني مستوى الثقافة التوعوية لدى الأهل فيما يتعلق بالمخاطر التي يمكن أن تنجم عن عدم توفر حافلة.

وفيما يتعلق بدور الرعاية، حملت عاملة في إحدى الحضانات برام الله، رفضت الكشف عن هويتها، مالكي الحضانة الدور الأعظم في تفاقم هذه الظاهرة نظرًا لاعتمادهم المنطق الربحي بغض النظر عن مطابقة الروضة لمعايير السلامة المهنية أو حتى امتلاك حافلة مؤهلة قانونيًا، مشيرة إلى أن حافلة الروضة التي تعمل فيها غير مرخصة وغير صالحة للاستخدام الحيواني، على حد تعبيرها. وبالرغم من ذلك، تستخدم ليس فقط وهي غير ملتزمة بمعايير السلامة والعدد القانوني للركاب، إنما تلجأ إلى نقل حمولة تعادل ثلاثة أضعاف الحمولة القانونية، وبالتالي تضاعف الخطر المتعلق بحياة الأطفال.

* طالب في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

كلمات على جدران القلب وشغافه!

د. امديرس القادري

ليس من السهل أن تكتب مقالاً عن فلسطين، فما بالك إذا كان المقال سيكون خصيصًا لجامعة بيرزيت، ولمركز تطوير الإعلام، فيها ولصحيفة «الحال» التي تصدر شهريًا عنه؟ كيف يمكن أن نختصر الكلمات ونعصرها؟ وكيف يمكن أن نكتب عن واقع الحال الفلسطيني العاصف دائمًا بالأحداث، مع مراعاة التقيد بشروط النشر؟

الصديقة أماني أبو هنطش تعلم جيدًا أنها لو طلبت مني اللحم والدم من أجل فلسطين، فلن أبخل بهما عليها، فهي تعلم أن عيوننا التي تفتحت في شقاء الغربة عاشت وهي تحلم أن يدفن هذا الجسد في ثراها الطاهر، فهل يمكن لمن يعشق فلسطين ألا يطير فرحًا وهو يستعد لتحمل شرف الكتابة على صفحات «الحال».

الحال الفلسطيني بدأ مع الاستعمار الغربي، ومن هنا وجدت فلسطين نفسها رهينة الانتداب البريطاني وبلفور المشؤوم. الشعب رفض وثار وقدم أطول إضراب عرفه التاريخ، حتى جاءت النكبة والتهجير القسري الذي فرضه القوي على الضعيف، وفشلت الجيوش العربية في الدفاع عن كرامة فلسطين، وبدأ الفلسطيني يعيش الصدمة في الخيمة والمخيم وهو يلهث وراء علب السردين وطحين الأمم المتحدة.

ولكن الصدمة فجرت مخزون الصمود والتحدي، فجاءت ولادة الثورة في إطار منظمة التحرير وفصائلها وكفاحهم المسلح، وتحول الحال إلى صراع الوجود الذي لا يقيم وزنًا للحدود، ولكن القدر يتدخل من جديد على إيقاع نكسة حزيران 67، فسيطرت إسرائيل بذلك على كل فلسطين والجولان وسيناء، وبالرغم من ذلك، فقد ظل الفلسطيني واقفًا على قدميه في معادلة الصراع، فاشتد العود، ولم ينكسر الظهر.

رحل عبد الناصر قبل أن ترى عيناه بطولات الجندي العربي الذي صنع انتصار أكتوبر والعبور، ولكن السادات اختار مستنقع كامب ديفيد وما جره من عار، فظل الفلسطيني وحيدًا يقاتل عدوه من لبنان، وحتى لا تسقط بيروت، أجبر على الرحيل ومعه كل نضالاته وتضحياته إلى بلدان الشتات من جديد.

ولكن السلام هبط فجأة عبر مظلة مؤتمر مدريد، وكانت أوسلو هي حصة الفلسطيني من هذه المسرحية التي نتج عنها ما بات يعرف بالسلطة الوطنية التي تقود ومنذ عقدين مسلسل هذا السلام والتفاوض، إلا أن الفلسطيني الذي لا يزال صامدًا على أرض الوطن هو الطرف الوحيد المؤهل لمعرفة خيرها من شرها، وله وحده ستكون الكلمة النهائية والقرار.

أما نحن الحالمين بالعودة إليها، فاسمحوا لنا أن نكتب على جدران قلوبكم شيئًا بسيطًا عن حلمنا، وليكن ذلك أمانة نعلقها في رقابكم، نقول لكم وبعد هذا الاستعراض البسيط للحال الفلسطيني إن صمودكم ونضالكم هما الجسر الوحيد الذي سنعبر من خلاله من دائرة الأحلام إلى يقين الواقع، ونحن واثقون من قدرة شعبنا في الداخل على تحقيق ذلك.

الفلاحون يستيقظون على «زواميرالسيارات» عوضًا عن صياح الديك

كايد معاري

تجاعيد الدهر أخفت سحرًا عرفت به صديقة زواتية «أم يوسف»، سحرًا لا يتعلق بجمالها فحسب، بل بجمال العقود الخيرة التي عاشتها في البستان، حيث تمرغت بطين البلاد، وقلمت الأشجار، تمامًا كما تقلم فتيات هذا العصر أظافرهن.

صديقة زواتية (103 أعوام) من قرية زواتا إلى الغرب من مدينة نابلس، لم يتلف الزمن ذاكرتها بقدر ما أتلف قدرتها على الحديث عن مسلسل طويل من العراك والتجارب في الحياة التي رسخت في وجدان حفيدها أحمد، ولكن دون أن تجد طريقها إلى أرض الواقع. فعلى ما يبدو، لم يبق من وصايا الأجداد إلا شريط طويل نستعرضه كلما أثير ما يمس حِكَمهم من قريب أو بعيد، كأننا فقدنا الحاضر، ونخشى من المستقبل.

حفيدها أحمد الذي يسهر على سلامة وحاجات جدته، شابت صوته نبرة حزن وحيرة حينما تذكر ما تقوله الجدة على مسامعه في كل مناسبة تتاح لها بأن «شجرة الزيتون هذه بعمرك يا أحمد، ربيتها كما ربيت أبنائي»، مبينًا أنه كان يتعرض في كل مرة يحاول استفزازها لمجموعة من الدعوات وما تطاله يدها من حجارة صغيرة.

ويتابع أحمد حديثه وقد بدت الحسرة والألم على ملامحه قائلاً: «هذا الزمن تغير كثيرًا عن السابق، فلم نعد نهتم بالأرض سوى بالمناسبات، وخاصة في موسم قطاف الزيتون»، مرجعًا ذلك لعدة أسباب أهمها عدم جدوى العمل في الأرض في ظل الظروف الاقتصادية الحالية، وغياب الرعاية والدعم للمزارع، ما حدا بالأجيال للبحث عن مصدر رزق آخر واستغلال مساحات الأراضي لبناء المنازل، إضافة لإجراءات الاحتلال والطرق الالتفافية التي حرمتنا الوصول إلى الأراضي وحراثتها وتنقيبها، حتى إن بعض الأهالي أصبحوا يخشون على أبنائهم من الذهاب إلى المزارع.

عم الصمت لوهلة في المكان، عقب تنهيدة أطلقتها الجدة الغارفة على ما يبدو في زمن جميل ذهب ولن يعود، وإن عاد فقد تكون ووريت الثرى، ليستذكر بعدها الحفيد تلاشي «الحمير» والديوك وخم الدجاج وظهور المركبات الحديثة، ليفتح تساؤلاً أليمًا عن كيفية تخلينا عن هوية المجتمع الفلسطيني الريفية، وليقدم صورة عن المستقبل القريب، الذي تحل فيه زواميرالسيارات محل صياح الديك في الريف.

احتلال وخلل حكومي

يقول مدير دائرة الضغط والمناصرة والإعلام في جمعية الإغاثة الزراعية منجد أبو جيش إن عوامل عدة أدت إلى تراجع اهتمام المزارعين بأراضيهم أو ثرواتهم الحيوانية، إلا أن العامل الرئيسي هو سياسات الاحتلال وإفرازاته، من جدار واستيطان ومصادرة أكثر من 80% من مصادر المياه في الضفة الغربية وضخها للمستوطنات.

ويضيف أبو جيش أن الاحتلال أيضًا يتحكم بـ 60% من أراضي الضفة الغربية لوقوعها في أراضي «ج» حسب تصنيف اتفاقية أوسلو، وهو ما يعرض المزارع لمزاجية الإجراءات والمنع والقمع الإسرائيلي.

وفي الشأن ذاته، يتابع منجد أبو جيش حديثه قائلاً: «هناك عوامل أخرى تتعلق بالسياسات الاقتصادية الخاصة بالحكومات الفلسطينية المتتابعة التي لم تولِ القطاع الزراعي أهمية في موازناتها المالية أو حتى برامجها التطويرية»، مضيفًا أن «السلطة الوطنية تعد أكبر مشغل في فلسطين وهي تصنف في إطار القطاع الخدماتي، يضاف لها من يعمل في القطاع الخاص الفلسطيني وبالتالي فقد القطاع الزراعي القوى العاملة، فتحول الاقتصاد الفلسطيني نحو النمط الخدماتي عوضًا عن النمط الإنتاجي الزراعي».

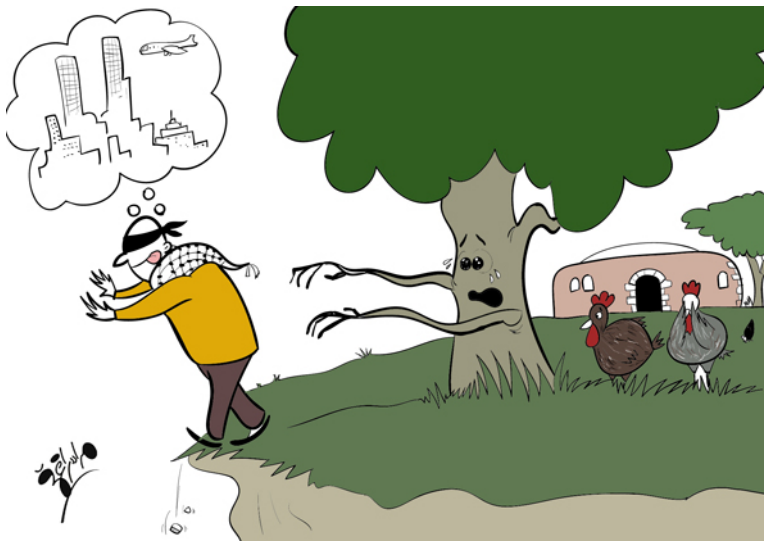

وشدد أبو جيش على ضرورة أن تقوم السلطة الوطنية وحكوماتها بدعم المزارع الفلسطيني وحمايته حتى يصبح عمله في أرضه ذا جدوى من خلال خلق صندوق لدعم المزارعين وإسنادهم في حال حدوث كوارث طبيعية تضر بالمحصول الزراعي وإمكانياتهم، وإعادة النظر باتفاقية باريس التي قيدت الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي، وهو ما قلص إمكانية وفرص تصدير الفائض من المنتجات الزراعية الفلسطينية، مضيفًا أننا أيضًا نتحمل جزءًا من المسؤولية، لا سيما في ظل انتقالنا من الريف إلى المدن، وبعد ذلك من المدن الشمالية والجنوبية إلى رام الله، وهي أساسًا غير زراعية.

وقال أبو جيش إن «نصيب وزارة الزراعة من الموازنة المالية العامة للحكومة لم يتجاوز 2% في أحسن حالاته، وهو مؤشر على عدم وضع الحكومات الفلسطينية القطاع الزراعي على سلم أولوياتها، حتى إنها بدأت تتحدث عن إدراج القطاع الزراعي ضمن ضريبة الدخل وهذا يعد سابقة تاريخية».

ضعف الإمكانات

من جانبه، يؤكد مدير عام الإرشاد والتنمية الريفية في وزارة الزراعة إبراهيم قطيشات أن الوزارة تتابع الخطة التطويرية للحكومة الفلسطينية في القطاع الزراعي، وتقدم العديد من الخدمات المجانية والإرشادية في القطاع الزراعي، وتسعى لحماية المنتج الزراعي الفلسطيني وتحصر الاستيراد فقط في حال حصل أي عجز، مستدركًا أنها لم ترتق إلى المستوى المطلوب حتى الآن.

ويرجع قطيشات عدم تمكن الوزارة من أداء كافة الأدوار المناطة بها إلى نصيبها القليل جدًا من الموازنة المالية التي تعد في أغلبها تكاليف تشغيلية للوزارة، وهذا بسبب العجز المالي في الموازنة العامة للحكومة، مبينًا أن نصيب الوزارة على الورق هو 2%، لكن في الواقع لا تحصل الوزارة على هذه النسبة، بل أحيانًا تقل عن ذلك.

«البيتاوي عاشق الأرض».. ما زال صامدًا في «القعير» رغم إرهاب المستوطنين

شروق الجاغوب

على إحدى تلال منطقة القعير قرب عين عواليم المطلة على مستوطنة «إيتمار» شرق بلدة بيتا جنوب نابلس، جلس عاشق الأرض مصطفى الرزق «64 عامًا» يشرب الشاي ويتناول طعام الإفطار، بعد يوم حافل في رعاية أشجار الزيتون وتقليمها.

عن الوضع في تلك المنطقة، تحدث الرزق بنبرة ملؤها الحزن والحرارة قائلاً إن هذه المنطقة التي يطلق عليها «القعير» وأصبحت مهددة بالاستيطان؛ كانت شاهدًا حيًا على نبض الحياة عام 1954م، حيث هذه الحفرة الماثلة أمامك تذكرني بأيام طفولتي عندما كان والدي يستخدمها حظيرة للماشية وكنا نتخذ من هذه المغر المحفورة على أطرافها مكانًا للنوم خلال الفترة من نيسان ولغاية آب». ويضيف: «أتذكر في هذه المنطقة أيام طفولتي مع أبناء أعمامي، حيث كنا نخرج صباحًا نلعب ونلهو ولا نعود إلا مع موعد الغداء، وبعدها ننطلق حتى غروب الشمس، حيث كنا نرقد بكل أمان واطمئنان.. والآن أصبح الأمن مفقودًا في هذه المنطقة لقربها من مستوطنة إيتمار». وأشار بيده إلى منطقة تقع أسفل التلة وهي كهف مغطى بألواح الزينكو قائلاً: «بقينا في هذه المنطقة لغاية عام 2000 حيث كنا هدفًا لنيران المستوطنين وكانوا يتعمدون إطلاق النيران علينا، حيث أجبروا والدي على إخلاء الكهف، وها هي أبقار المستوطنين ترعى وتسرح وتمرح في هذه المنطقة». ويتابع: «عملت في رعي الأغنام 20 عامًا، حيث كان لوالدي أكثر من 250 رأسًا من الماشية، وحاليًا لا أملك سوى 50، لضيق ذات اليد وتقلص المساحة المخصصة للرعي».

وعلى مقربة منا، كان هناك راعي أغنام شاب شارك في الحديث أثناء تناول طعام الإفطار الذي تكون من البندورة والبصل والشاي وخبز الطابون. وقال فيما أغنامه ترعى على التلة مستذكرًا معاناته مع المستوطنين قائلاً: «يأتون إلى هذه المنطقة إلا أنني أتحداهم. قبل فترة، طلب مني أحدهم أن يمتطي حماري فقلت له ها هو أمامك وبإمكانك أن تركبه. وما إن اقترب واعتلى ظهره، حتى قفز به إلى أعلى وألقاه على بعد عدة أمتار، فبدأوا بضربي على كافة أنحاء جسدي وغادروا المنطقة. وعلى الرغم من ألمي، ذهبت في اليوم التالي إلى تلك المنطقة ففوجئت بنفس العصابة، وقالوا: يبدو أن الضرب أمس لم يوجعك، والآن سنضع نهاية لحياتك، فسحب أحدهم المسدس ووضعه على رأسي، وقال: عليك مغادرة المنطقة فرفضت وقلت: مهما فعلت، فلن أغادر هذه المنطقة إلا على نقالة أو إلى القبر». هذا ما يواجهه رعاة الأغنام والمزارعون في المناطق القريبة من المستوطنات. حياة مسكونة بالخوف والقلق والمطاردة في أرضنا التي سلبها الاحتلال وأصبحنا فيها ملاحقين. ويصر عاشق الأرض الرزق وأمثاله على الصمود في مواجهة هجمات المستوطنين الدائمة والمنظمة.

الصامد في أرضه مصطفى الرزق.

نشطاؤها اقتحموا حاجز نعلين في «المسيرة التاريخية إلى الرملة»

المقاومة الشعبية في رام الله تقترح إحياء «العودة» وليس «النكبة»

موفق عميرة *

اقترحت المقاومة الشعبية في ريف رام الله شكلاً جديدًا من المقاومة الشعبية، حيث أحيت ذكرى النكبة على حاجز نعلين العسكري الفاصل بين الضفة وفلسطين المحتلة عام 1948، وأطلقت على الفعالية «مسيرة العودة التاريخية إلى مدينة الرملة».

وشارك في المسيرة عشرات الشبان من قرى نعلين وبلعين والنبي صالح ونُشطاء أجانب، واعتدت قوات الاحتلال الإسرائيلي عليهم بالضرب، وهاجمت المسيرة التي وصلت إلى الحاجز العسكري بالقوة، واعتقلت عددًا منهم.

وقامت قيادات المقاومة الشعبية في مناطق الجدار والاستيطان بالتنسيق السري لمسيرة «العودة التاريخية إلى مدينة الرملة»، وتمكن عدد من المشاركين في المسيرة من الدخول عبر الحاجز ورفعوا الأعلام الفلسطينية وشعارات «العودة حق وحتمًا سنعود»، وأعاقوا حركة سير المركبات الإسرائيلية لعدة ساعات.

اعتقال ناجي التميمي

وقالت بشرى التميمي زوجة الأسير ناجي التميمي الذي تم اعتقاله أثناء مسيرة العودة إلى الرملة، إن المسيرة ارتبطت بذكرى النكبة الفلسطينية، لتقول إنه لا حدود ولا حواجز تبعدنا عن المدن الفلسطينية المحتلة وأيضًا لتعبر عن مدى الاشتياق للوصول إليها، إذ لا نستطيع الدخول إليها ولا نشاهدها إلا في الصور.

وأكدت التميمي أن قوات الاحتلال تصدت للمسيرة السلمية بالقوة وضربت المتضامنين ودفعتهم خلف الحاجز العسكري، وكان في مقدمة المسيرة ناجي التميمي منسق حركة المقاومة الشعبية في النبي صالح وتم اعتقاله واقتياده إلى مركز الشرطة الإسرائيلية، وما زال معتقلاً، وتم أيضًا اعتقال متضامنة فرنسية وفتاه كندية من أصول فلسطينية واحتجازهما لمدة ساعة ثم الإفراج عنهما.

النوم في الشارع

وسمع أحد الشبان من قرية نعلين بالمسيرة عن طريق الفيسبوك، وخلال خمس دقائق وصل إلى الحاجز وشارك في المسيرة، وقال إن الدور الذي قام به هو النوم في الشارع لتعطيل حركة سيارات المستوطنين وخلق أزمة سير.

وأكد أن الدافع إلى المشاركة في المسيرة هو التأكيد على الحق المشروع في العودة إلى المدن والقرى التي صادرها اليهود. وأضاف أن جنود الاحتلال اعتدوا عليه بالأيادي والعُصي وأعقاب البنادق والهراوات واستخدموا الألفاظ النابية، حيث أصيب برضوض في عظمة الصدر العليا.

أعلام فلسطينية على سيارات المستوطنين

كما شارك أحمد أبو رحمة من قرية بلعين في مسيرة العودة التاريخية إلى الرملة، وقال إن المسيرة تحمل في ثناياها عدة أهداف، منها أن الشعب الفلسطيني وفي ذكرى النكبة يريد أن يعود إلى أرضه التي سلبت منه. وأضاف أبو رحمة أن ذكرى النكبة تعني الكثير للشعب الفلسطيني الذي ملّ من الخطابات والكلمات من القادة السياسيين، ومن خلال هذه المسيرة السلمية في مناطق الاحتكاك المباشر مع الاحتلال الإسرائيلي، نستطيع أن نوجه رسالتنا إلى العالم وهي «أننا سنعود ولو بعد حين».

وقال نضال التميمي من قرية النبي صالح، إن المتضامنين المشاركين في مسيرة العودة إلى الرملة اخترقوا حاجز نعلين العسكري ورفعوا الأعلام الفلسطينية داخل الأراضي الواقعة خلف الجدار ووضعوا الملصقات الفلسطينية التي تحمل أسماء القرى العربية وشعارات العودة على سيارات المستوطنين والإسرائيليين دون استئذان أو تردد، وهرعت قوات كبيرة من الجيش الإسرائيلي و «حرس الحدود» والوحدات الخاصة واعتدوا على المتضامنين وطردوهم بالقوة.

وأكد التميمي أن اختيار حاجز نعلين جاء لقربه من المدن الفلسطينية المحتلة مثل اللد والرملة ويافا.

العودة بديلاً عن «النكبة»

وقال القيادي في المقاومة الشعبية في قرية بلعين ومنسق المسيرة باسل منصور، إن فكرة التوجه للحواجز الإسرائيلية تهدف إلى مسّ أمن الإسرائيليين بشكل مباشر. وتحمل المسيرة مضامين كثيرة أهمها التأكيد على أن المقاومة الشعبية قادرة على استهداف كافة المرافق الحيوية دون تردد، والتأكيد على أن لنا وطنًا هناك، لنا فيه ذكريات وعظام الأجداد، ولنا فيه تاريخ ومستقبل.

نشطاء يضعون ملصقات تحمل شعارات العودة على سيارات المستوطنين.

وأضاف منصور أن المشاركة في المسيرات تتطلب جُرأة عالية، فالمتضامن يكون على أتم الاستعداد لدفع ثمن باهظ، لأنه سيجتاز خطًا أحمر ومصيره سيصبح بعد ذلك بيد عدوه، حيث لا مجال للعودة بعد عملية الاقتحام والدخول. وأكد أن الرسالة من هذه الفعاليات تصل أولاً وبشكل مباشر إلى المستوطنين المارين عبر الحاجز، إذ تعيق حركتهم بالحد الأدنى، ثم إلى الجيش والحكومة الإسرائيلية بأن الفلسطينيين ما زالوا يمتلكون روح الإرادة والتحدي والكثير من الأوراق، وأن عيون الفلسطينيين وأفئدتهم ما زالت تخفق حبًا وأملاً بالعودة إلى ديارهم التي هجروا منها عام 48.

كما ناشد منصور شعبنا أن يستخدم مصطلح العودة بديلاً عن النكبة، وأن على الفلسطينيين أن يبدأوا جديًا إعداد العدة والتفكير بالعودة والتحضير لها بشكل عملي، بدلاً من الاكتفاء بالتحضير كل عام لإحياء هذه الذكرى (النكبة). وأكد منصور أن استهداف هذا الحاجز يأتي ليوصل رسالة للجميع بأن هذا بالفعل هو الطريق المؤدي إلى حيفا ويافا والرملة، ومن يريد العودة، عليه أن يجتاز فقط مثل هذه الحواجز ليصبح بالفعل في بيته الذي هجر منه قبل 64 عامًا.

* طالب في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

بعد 64 عامًا من اللجوء والنكبة

المهجر أبو محمد: اعتقدنا أننا سنخرج من جمزو بضعة أيام فقط

وعد جهالين *

«هدّي يا بحر هدّي.. طولنا في غيبتنا.. ودّي سلامي ودّي.. للأرض اللي ربتنا». هذا ما يغنيه أبو عرب معبرًا عن اشتياقه لوطنه. والأغنية يلهج بها المهجر الحاج نمر محمود عبد الجواد أبو محمد (76 عامًا) الذي يواصل إشباع أحفاده بقصص عن قريته المهجرة جمزو.

يفتح أبو محمد مع «الحال» صفحة الماضي ويعود بنا 64 عامًا من الانتظار والحلم بالرجوع لتلك القرية البسيطة. يصف خروجه من جمزو وتكاد الدمعة لا تفارق كل جملة يقولها: «كان خروجنا من جمزو بسبب الخوف، فالصهاينة كانوا دائمًا يهددون أهل البلد، وفي الأيام الأخيرة قبل خروجنا من القرية انتشروا حول القرية وبدأوا بإطلاق الأعيرة الناريّة في الهواء وكان هدفهم التخويف وإنذار الناس بأنهم إن لم يخرجوا سوف تقع في جمزو مجزرة كالتي حدثت في قرى كثيرة».

مصيبة التهجير

يؤكد أبو محمد أن الصهاينة في ذاك الوقت أرادوا التهجير بصمت الترويع وليس القتل فقط، ومن خلال شراء الأراضي من السماسرة، وأثناء ذلك كانوا ينشرون الأكاذيب لتخويف الناس أكثر، وبالطبع الأهالي خافوا على أرواحهم، وبعد أيام معدودة قرر أهل القرية الخروج منها ليلاً والتجأوا إلى قرية نعلين.

ويصف أبو محمد تلك الليلة بقوله: «كانت ليلة سوداء على كل فرد منّا حتى الصغار، معظمنا خرج بالملابس التي يرتديها، وكل ما اعتقدناه أننا سنخرج بضعة أيام فقط حتى يكف الصهاينة عن التهديدات وإطلاق النار». وتحسّر أبو محمد بقوله: «سمعنا بعد أربعة أيام من تلك الليلة أن العصابات المسلحة استولت على اللد والرملة وكل القرى المحيطة بها ومن بينها جمزو، ومنعوا أيًا من أهلها من العودة لها وكانت محاولة العودة انتحارًا، فربما يُقتل فيها الشخص أو يُعتقل ولا ندري حينها أين أراضيه».

ويجهش أبو محمد بالبكاء عندما عادت إليه ذكرى سجنه لأول مرّة عندما كان عمره حينها قرابة 13 عامًا، ويقول: «أخواي كانا يعملان في خربة الظهيرة قضاء نعلين وأنا كنت راعيًا للأغنام، يومها تفاجأت والراعي الآخر معي بسيارة عسكريّة خرج منها جنود صهاينة وقالوا ممنوع أن نتواجد في هذه الأرض ثم اقتادونا إلى سجن اللد وبقيت هناك قرابة شهر».

وبعد أن تماثل للشفاء، تقرر عدم إبقائه في السجن هو وطفلان كانا معه، فأخذتهم سيارة عسكريّة ورمتهم في أحد شوارع القدس.

ويستمر أبو محمد في سرد قصته بعد خروجه من السجن ويقول: «قررت ألا أعود إلى نعلين وأن أذهب لقرية عناتا حيث تسكن خالتي أديبة». وفي مخيم عناتا استقر أبو محمد بعد أن عمل هو راعيًا وعمل أخواه ذياب وذيب في بناء المخيم مع الوكالة بعدما جاءوا إلى عناتا هم أيضًا.

وتشارك أم محمد زوجها بالذكريات وتقول: «تزوجت أبو محمد على الرغم من رفض العائلة لأنه لم يكن يملك شيئًا، ولكنني لم أستسلم وأقنعت أهلي به، وها نحن الآن لدينا سبعة أولاد وبنت وأحفادنا حولنا والحمد لله».

ذكريات جمزو

ناضل أبو محمد كي لا تسقط دمعته أثناء حديثه عن قريته وأحراشها وأراضيها وناسها، وحتى ليالي السمر فيها. «بيتنا كان عبارة عن غرفتين وعريشة ننام فيها أيام الصيف والأراضي تحيط بنا» يقول أبو محمد. لا يتذكر عن والدته شيئًا كثيرًا، فقد ماتت وهو بعمر الثالثة، ولكنه يتذكر والده جيدًا، يقول أبو محمد: «كان الوالد يصحبني معه كل يوم إثنين لسوق اللد حتى نشتري حاجياتنا من هناك».

وتمنى أبو محمد أن يدرس في مدرسة القرية التي بناها الأهالي لأبنائهم، ولكنه لم يجد من يهتم به وبدراسته، فإخوته يعملون في الأرض مع الوالد، وكانت عمّتهم تأتي للبيت لتصنع لهم الطعام والخبز وتعود بعدها لبيتها وزوجها، يقول أبو محمد: «لم أكن أفعل شيئًا غير اللعب أو الذهاب مع إخوتي للأرض، أتذكر جيدًا الجنة التي كنّا نعيش فيها. كان الفلاحون يزرعون السمسم والذرة. ويقفز لذاكرته مشهد حصاد القمح، فلم يكن أي فرد في القرية يجلس في النهار وكانوا كأنهم نمل يذهب ويجيء، وإن تأخر أحدهم في الحصاد، فإن مجموعة تذهب وتساعده على إنهائه».

الحاج أبو محمد.. حلم بالعودة طال انتظاره.

الأرض المحرمة

لم يستطع أبو محمد أن يتحدث عن عودته إلى جمزو، فقبل سنة اصطحبه ولده صالح إلى الحدود التي تفصل الأراضي المحتلة عام 1948م عن أراضي 67، وتأمل أبو محمد أراضي جمزو من وراء سياج يفصله بضع خطوات عن أرضه. بكى كثيرًا حينها، كانت أرضًا محرمة وما زالت إلى اليوم أرضًا محرمة. هكذا يصفها أبو محمد.

وطوال الحديث مع المهجر السبعيني، ثمة جملة واحدة ظل يرددها في أكثر من صياغة، مفادها «نفسي أرجع ع جمزو قبل ما أموت». ويبدو أن أمنية الجد تسربت إلى أماني الحفيدة لينا (21 عامًا) التي تقول: لم أز جمزو إلا من خلال الصور على الإنترنت، ولا أعرف عنها سوى ما قاله لنا جدي، ولكنني أتمنى العودة إليها اليوم قبل غد.

* طالبة في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

النظام أجبره أن يتبول في ملابسه خلال التحقيق

كيلة لـ «الحال»: عائلة الأسد ليست لديها أطواق نجاة.. وفصائلنا لم تتعلم من تجربة بيروت

علي الأغا

اعتقل النظام السوري المفكر الفلسطيني اليساري سلامة كيلة وعذبه بسبب شعار «من أجل تحرير فلسطين.. نريد إسقاط النظام»، استخدمته نشرة اسمها «اليساري». التعذيب الذي تعرض له كيلة تراوح بين الضرب المبرح وربط يديه ورجليه بالجنازير وتعصيب عينيه ورفضهم السماح له بالتبول، بل طلبت منه المخابرات أن يتبول في ملابسه «وهو ما حدث للأسف» كما يقول.

وحسب كيلة، فإن اثنين من الـ 11 الموقوفين معه في نفس الغرفة توفيا بسبب التعذيب. ومع أن كيلة ينفي مسؤوليته عن إطلاق هذا الشعار، إلا أنه يكرر في كل مناسبة أن الثوار السوريين يؤمنون بهذا الشعار، لأن النظام يتاجر بالقضية الفلسطينية، وهو لا يجرؤ على الاقتراب من الجولان ولا يستعد لأي حرب، وأن النظام تحول إلى عائق أمام المواجهة مع إسرائيل. وقد اعتقل كيلة مساء يوم 2012/4/23، من قبل جهاز المخابرات الجوية السورية، الذي يعرف بأنه الأكثر وحشية في نظام الأسد، وتم ترحيله إلى الأردن مؤخرًا. «الحال» هاتفت المفكر كيلة وكان هذا الحوار.

* من يحكم سوريا الآن؟

- فئة عائلية ضيقة تضم عائلات الأسد ومخلوف وشاليش، وهي التي احتكرت السلطة وتهيمن على أجهزة الأمن، وقد أصبح النظام عائليًا مافياويًا وهو يتقلص لأضيق حلقاته بعد عام وشهرين من الثورة، ورامي مخلوف ابن خال بشار صرح قبل أشهر بما قررته هذه السلطة، وهو أنها ستخوض الحرب حتى النهاية، وهو كان يقصد ذلك بدقة، لأنه يعرف أن أي إمكانية للتغيير ستطال هذه السلطة الأمنية المالية التي يتمتعون بها، فهم الذين اختاروا الصراع العنيف منذ 19 آذار 2011.

* ما هي الخلاصة التي خرجت بها من تجربة الاعتقال والتعذيب الأخيرة؟

- اعتقالي كان طبيعيًا في ظل نظام استبدادي بات يشعر أنه في أصعب أوضاعه، وأن كل القمع الذي مارسه لم يؤدِ إلى تراجع الثورة، وبات يشعر بتوتر كبير لأنه ليست لديه أطواق نجاة تجاه ثورة من شعب يريد التغيير.

* على ماذا يتوقف سقوط نظام بشار الأسد؟

- الأمور الآن تتعلق بمتحولات مختلفة، لكنني أشير إلى أن النظام بات يتآكل من الداخل في الأشهر الأخيرة، فعلى المستوى الشعبي وحتى القطاعات التي كانت تدافع عن النظام تقلصت، وكذلك القطاعات المترددة انخرطت في الثورة، ومثال ذلك محافظة حلب التي كانت محسوبة على النظام، وكذلك التجار اقتنعوا بوجوب رحيل النظام. أما بالنسبة للحكومة، فقد أفلست لأنها ليست لديها مداخيل لدفع الأجور ومصاريف الحرب، وهذا ما أدى إلى ضخ عملة دون رصيد، فانهارت الليرة السورية بنسبة 90%، والفرز بات واضحًا الآن بين الفئة الحاكمة الضيقة وبين بقية الشعب. وبرأيي، فإن تفكك نظام الأسد يتوقف على عاملين: الأول، امتداد الثورة إلى الساحل، وهذا الأمر سيؤدي إلى تفكك البنية الصلبة، التي أخافت الطائفة العلوية من ثورة سنية وهو ما ثبت كذبه. والثاني، العامل الروسي الذي ما زال يتمسك ببشار الأسد ويدافع عنه، فوصول الروس لقناعة بعد جدوى استمرار دعم النظام سيساعد في تفكيك بنية السلطة التي تبدو متماسكة بسبب الاتكاء عليهم.

* كيف تقيم أوضاع الفلسطينيين في سوريا حاليًا؟

- نحن نعتبر أنفسنا جزءًا من هذه الثورة، وهناك من بيننا شهداء وأسرى، لكن للأسف الشديد، ليس لدي أرقام دقيقة بخصوصهم، لكن تتم معاملتهم من قبل أجهزة النظام بنفس القسوة التي يتعامل بها مع الثوار.

* ما تقييمك لموقف الفصائل الفلسطينية من جرائم نظام الأسد؟

- المشكلة أن الفصائل الفلسطينية غير معنية بالتدخل فيما يجري في سوريا، كما أن بعض الفصائل موقفها سلبي وتحارب مع النظام، وهناك من يصدر بيانات مؤيدة للنظام السوري مع أن القاعدة التنظيمية لهذه الفصائل غير مرتاحة لما يقوم بها قادتها من تأييد للنظام.

* ماذا عن موقف حركة حماس التي خرجت من دمشق؟

- حماس جزء من التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، وقد حدث تفاهم مع الولايات المتحدة الأميركية بأن يكون الإخوان جزءًا من نظام الحكم الجديدة بعد الثورات العربية، والإخوان المسلمون يعتقدون أن موعد الخلافة قد حل وأن دولة الخلافة الإسلامية ستحكم العالم.

* هل كان من الممكن أن يكون موقف الفصائل الفلسطينية أفضل؟

- بالتأكيد، على الأقل أن يأخذوا موقف الحياد، فالمشكلة أن كل الفصائل ثبتت كل ثقلها في دمشق، وبالتالي، اضطرت لتقديم تنازلات وخطاب تملق للنظام لتسهيل عملها وتحركها، وللأسف، فهذه الفصائل لم تتعلم من تجربة بيروت.

* نريد أن تصف لنا الصورة أكثر في سوريا، خصوصًا بعد الانتخابات البرلمانية الأخيرة؟

- هذا كله خط إصلاحي وهمي، وحسب علمي، فإن نسبة المشاركة في الانتخابات الأخيرة كانت 2%، حتى في المدن الأساسية، والنظام كان يؤلف ويخترع أرقامًا وهمية على الورق، وقد ركب مجلس الشعب الجديد كما ركب المجالس السابقة، فأعضاء هذه المجالس مرتبطون بالأجهزة الأمنية، حتى إن الأجواء في يوم الانتخابات كانت هزلية.

كيلة في سطور

سلامة كيلة من مواليد بلدة بيرزيت في فلسطين عام 1955. يحمل درجة البكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة بغداد عام 1979. عمل في المقاومة الفلسطينية ثم في اليسار العربي، وما زال ينشط في العمل الماركسي العربي. أوقف مرات عدة في سوريا، سجن في إحداها لثماني سنوات. يكتب في العديد من الصحف والمجلات العربية. أصدر أكثر من 20 مؤلفًا تناولت الأفكار الاشتراكية والماركسية والقومية العربية والإمبريالية والإسلامية. كما كتب حول القضية الفلسطينية والمشروع الصهيوني في العديد من الصحف والمجلات العربية.

«المذيع هو ذواق اللغة الكبير الذي يدهش المستمعين»

الإذاعي عارف سليم.. بصمة صوت عمّرت 45 عامًا في الأثير الفلسطيني

سمية جميل *

عديدة هي الأصوات التي تميزت على الساحة الإذاعية الفلسطينية، وتركت بصمة لا تنسى، منها المذيع المخضرم، صاحب الصوت الرخيم المميز عارف سليم، الذي التقته «الحال» وحاورته حول الوضع الإذاعي الفلسطيني، وخبرته الطويلة التي امتدت لأكثر من 45 عامًا.

عارف سليم من مواليد 1946 في بلدة دير بلوط بمحافظة سلفيت. ولد وعاش في مجتمع تقليدي بسيط، بظروف مادية صعبة، ورغم ذلك تنقل بين العديد من المناطق ككفر الديك وسلفيت ونابلس، إلى أن وصل جامعة عين شمس في مصر لإتمام الدراسة.

أتم سليم دراسته لشهادة البكالوريوس في تخصص اللغة العربية، ومن ثم الدراسات العليا في جامعة القاهرة قسم الإعلام في الإذاعة والتلفزيون. ولكن لم تكن هذه هي بدايته الإذاعية.

الصوت بصمة

في جولة بحياته الإذاعية، اصطحبنا الإذاعي الفلسطيني عارف سليم، الذي امتلك صوتًا رخيمًا علق بذاكرة كل من سمعه، ويرى أن الصوت موهبة من الله تعالى للإنسان، ويقسم الجهاز الصوتي إلى ثلاثة تجاويف: حنجرية وحلقية وأنفية، ويضيف: «لا بد من أن يعمل الإنسان على تطوير صوته، لأن الصوت عبارة عن بصمة للإنسان، وهي من الصفات التي تميز إنسانًا عن آخر».

ومن أكبر الإذاعيين الذين اقتدى بهم سليم في بداية حياته، كامل البيطار وأحمد سعيد وأحمد حمزة، وهم من مذيعي إذاعة صوت العرب، «فقد كنت مبدعًا بتقليد أصواتهم منذ الصغر».

الإذاعة الفلسطينية قديمًا وحديثًا

يعرف سليم الإذاعة بأنها: «منبر ثقافي وإعلامي وأدبي ولغوي وفني، ولا يصل إلى هذا المنبر إلا من كان أهلاً له وآمن به، وينبغي عليه أن يكون مؤتمنًا على هذا العمل ورسالته».

وكون سليم إذاعيًا مخضرمًا عاش مع الإذاعة التقليدية والمعاصرة، كان لا بد أن نسأله عن رأيه في الإذاعات الفلسطينية اليوم، فأجرى مقارنة بين الإذاعات حاليًا وسابقًا بقوله: «من إيجابيات هذه الإذاعات أنها تنطلق من أرض فلسطين، ليس كسابقاتها التي انطلقت من المنفى، وهذه الإذاعات تميزت بتواصل مباشر مع الشعب الفلسطيني، ما مكنها من التميز بالبرامج التفاعلية».

ولكنه يرى، أنه «رغم كثرة عدد الإذاعات الفلسطينية، إلا أنها تعيش أزمة هوية، بحيث إن كل إذاعة تكاد تكون منسوخة عن الأخرى، ونحن نعيش عصر التخصص، لذا نحتاج إذاعات تلبي احتياجات الجمهور، بشكل مميز، يضفي عليها شخصية خاصة».

أما عن الإذاعة بشكل عام، فيرى أنها كان لها قديمًا مفعول كالسحر، ولم تكن تتعرض للمنافسة القوية من الوسائل الأخرى كالتلفاز والإنترنت كما هو الحال اليوم، كما أن المعايير التي وضعت لاختيار المذيع وضعت على درجة عالية من الصعوبة، بحيث اشتملت على جودة الصوت واللغة والثقافة واللباقة والشخصية.

ويكمل سليم: «كانت للمذيع قديمًا شخصيته المميزة، فهو المرجعية اللغوية، وهو من الذواقة للغة وآدابها والملم بأساليبها البلاغية، وهذه الثقافة اللغوية تنعكس على الأداء الإذاعي فيحس السامع بجمالية اللغة».

بين الأكاديميا والممارسة

عمل سليم أستاذًا للإذاعة في جامعة بيرزيت ومدربًا في عدة مناطق، وبالنسبة إليه، فإن «الإذاعي هو الأقدر على العطاء الأكاديمي، وأكون أكثر سعادة حين أقدم عصارة خبرتي من العطاء الإذاعي بين يدي الناشئة الإذاعية الجديدة، وأشعر بالراحة حين أجد طلابي يصلون إلى مرحلة النجومية في الفضائيات والإذاعات».

ومن النصائح التي يقدمها الأستاذ سليم لتلامذته الإذاعيين، أنه لا بد للمذيع أن يكون ملمًا بالقدر الكافي من الثقافة والفنون، وأن يجتهد في الاستمرار على تدريب الأوتار الصوتية و «صقل الصوت، لأنه كالذهب كلما صقل ازداد توهجًا»، وأن عليه أن يعامل الإذاعة كمهنته المحببة إليه، أو كموهبة، وليس كوظيفة يعتاش منها لا غير، ليتمكن من الإبداع فيها.

كما أوصى الإذاعي عارف سليم بأن يسعى الإذاعيون الفلسطينيون إلى تأسيس نقابتهم الخاصة، إلى جانب نقابة الصحافيين، لأن عددهم بازدياد واحتياجاتهم باتساع.

واستطاع سليم أن يعبر لنا عن ارتباطه بالإذاعة بقوله: «إن الإذاعة هي عشق المذيع ولا تفارقه إلا بموته»، ورغم تقاعده من العمل كمذيع عام 2005، إلا أن رغبته إلى العمل ما زالت مفعمة، فيقول: «لا أتردد في إشباع رغبتي في العمل كلما عرض علي ذلك».

عارف سليم.

وقد تمكن الإذاعي المخضرم من إنجاز عشرة برامج إذاعية تربوية للمنهاج الفلسطيني الجديد، بالتعاون مع زميليه خالد سكر وسحر أمنية، كما يساهم حاليًا في إنتاج البرامج الوثائقية للفضائيات العربية.

* طالبة في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

مع ازدياد نسبتهم وسوء أوضاعهم

الفقراء في فلسطين.. حلول متواضعة وآثار كارثية على المجتمع

ميرفت الشافعي

بيت أم رياض.

عروب جملة.

خالد البرغوثي.

لم ترضَ نبال أن يقدم لها أحد يد المساعدة دون أن تعمل، لكن مرضها ومعاناتها من الديسك أوقفها عن العمل، وهي بحاجة لعملية، لكنها لا تملك تكاليفها. وتضيف نبال: «لأسابيع، لم أتناول أنا وأختي إلا نوعًا معينًا من الطعام، لأننا لا نملك المال. وللأسف، وضع إخوتي لا يسمح لهم بمساعدتنا إلا ما ندر، فلكل منهم مشاكله». فأحد إخوتها لديه طفل يعاني من فتحة في القلب، وآخر من فتحتين، والأم تعاني من مشاكل في صمامات القلب وارتفاع ضغط الدم وجلطة في رجلها، كما أنه هو يعاني من خمسة غضاريف أقعدته عن العمل.

الوضع المعيشي لأم العبد ليس أفضل حالاً. فهي تعيش في بيت غير صحي، ومعها ابنتها شهيرة.

تقول شهيرة: «والدتي لا تتلقى أي مساعدات من أحد. وهي تعيش المعاناة منذ وفاة أخي الكبير عبد الحليم نتيجة جلطة في الدماغ. وأخي المقيم معنا لا يكفي ما يجنيه لتوفير الاحتياجات الرئيسية للبيت. بالإضافة إلى أنني ووالدتي نعاني من أمراض وبحاجة إلى أدوية بشكل منتظم».

وتضيف شهيرة: «لي إخوة متزوجون ولكن لا يستطيعون تقديم الكثير لنا، فهم بالكاد يكفون أنفسهم. والشؤون الاجتماعية تصرف لي بين فترة وأخرى مبلغًا من المال. أما والدتي فلا يصرف لها لوجود أخي العازب معها. لكن أحيانًا نجد من أهل الخير من يقدم لنا المساعدة».

وتشارك أم رياض أم العبد في حزنها وألمها على فراق أولادها. فأحدهم توفي نتيجة خطأ طبي، والآخر استشهد. وما يزيد معاناتها زوجها الذي أجرى عملية قلب مفتوح، ووجود ثلاث بنات وابن، بالإضافة إلى ابنتها المطلقة وحفيدتها، ويعيش هؤلاء في غرفتين.

ومن يدخل البيت يشعر أنه بحاجة لإعادة إصلاح وترميم، فالأبواب مهترئة، وغرف النوم تملأها الرطوبة.

تقول أم رياض إنها توجهت لمؤسسات تعنى بالحالات الاجتماعية، «لكن لم يساعدني أحد. ولا تستطيع ابنتي أن تعمل لأنها مضطرة للبقاء إلى جانبي».

دور «الشؤون الاجتماعية»

وعن دور وزارة الشؤون الاجتماعية في مساعدة الأسر الفقيرة، يقول نائب مدير عام الإدارة العامة لمكافحة الفقر في الوزارة خالد البرغوثي: «من أهم برامج الشؤون الاجتماعية للحد من الفقر عبر تدخلات تجمع بين الإغاثة والتنمية: أولاً، الإعانات والتحويلات الاجتماعية النقدية وغير النقدية، وتشمل التأمين الصحي والإعفاء من رسوم التعليم المدرسي لأبناء الأسر التي تقع تحت خط الفقر الشديد، والمساعدات التموينية وإعفاءات الكهرباء، والمساعدات الطارئة، وكفالات الأيتام، وشراء خدمات اجتماعية من الجمعيات الخيرية والمؤسسات غير الحكومية. وثانيًا، التمكين الاقتصادي للأسر الفقيرة، وصندوق تأهيل الأشخاص ذوي الإعاقة».

وأضاف البرغوثي في حديث مع «الحال»: «فيما يتعلق بشكاوى البعض من قطع المساعدات، فإنه يتم وقف أية مساعدة عن أي شخص لا يستحقها بناء على قرار مديريات الشؤون في المحافظات. كما أن كل شخص له الحق في الاعتراض، ويوجد نظام للشكاوى يمكن أي مشتكٍ من استرداد حقه. وتسعى الوزارة إلى إيصال المساعدات إلى الأسر الأشد فقرًا، لأن المساعدات المتوفرة لا تغطي كافة الفقراء، وعليه، فالأولية في المساعدات لشديدي الفقر يليهم الأقل فقرًا. كما تقدم الوزارة مساعدات لما يقارب 97000 أسرة، وإذا استمرت طلبات المساعدة بالوصول إلى الوزارة ولم نتمكن من زيادة عدد الأسر، فهذا يعني أننا سنفضل مساعدة الأسر الأشد فقرًا على الأسر الفقيرة».

تأثيرات نفسية سلبية للفقر

ولأن للفقر تأثيرات اجتماعية ونفسية، قالت الأخصائية الاجتماعية والنفسية ومسؤولة القسم الفني في مركز تنمية موارد المجتمع في نابلس عروب جملة: «إن الفقر بحد ذاته يؤثر سلبًا على نفسية البشر، فالإنسان الذي يعاني من الشح المادي أكثر عرضة للاكتئاب والأمراض الاجتماعية والاضطرابات النفسية. وإذا كان رب الأسرة يعاني، فستكون هناك انعكاسات على الأسرة وأولها على زوجته لأنها شريكته، فهي تعاني ما يعانيه، ويؤثر ذلك على العملية التربوية للأبناء».

وأضافت جملة في حديث مع «الحال» أن «من يتعرض لكثير من الضغوط، لن يستطيع أن يتبع الأساليب التربوية الصحيحة، وإذا لم يستطع توفير الاحتياجات الأساسية، فإن هذا ينعكس على تربية الأبناء، الذين سيتولد عندهم عنف وحقد على المجتمع وعلى الظروف التي يعيشونها، إضافة إلى العنف الداخلي تجاه ذواتهم، ونقمتهم على ذواتهم ووضعهم وعلى المجتمع. كما أن إهمال الأبناء يخلق بعض الأمراض السلوكية كالسرقة والكذب والشعور بالنقص».

وبينت جملة أن «التطور الفردي في هذه الحالة يكون قليلاً ومحدودًا، رغم أننا نجد بعض الأشخاص المبدعين الذين نشأوا في ظل أسر فقيرة، وهذا يعتمد على الأم أكثر من الأب، التي تؤثر تنشئتها الصحيحة إيجابًا رغم وجود الفقر».

ثوب تراثي في أحد متاجر رام الله بـ 14 ألف شيقل

المطرزات والتراثيات.. شيفرات لا تنتهي في حياة الفلسطينيين

خليل جاد الله *

يتغنّى الفلسطينيون بتراثهم كما بقية شعوب العالم، وتشير الرّموز أو العادات المتوارثة إلى حقبة زمنية أو قصّة تروى للأجيال. فالكوفية الفلسطينية لبسها الرجال والشباب على رؤوسهم بلونيها الأسود والأبيض، فباتت رمزًا فلسطينيًا بامتياز. والثوب المطرز كان الزيّ الذي ترتديه نساء فلسطين عمومًا. وكانت المرأة الفلسطينية تصنع الثوب غرزة غرزة، فيكون الصنع يدويًا بيتيًا فلسطينيًا مئة بالمئة.

أما اليوم، فهذه الرموز التي تشير بالأساس إلى الهوية الفلسطينية تأخذ طابع الندرة والمناسبة في البيوت والأسواق، وترتفع أسعارها بعد أن أصبحت سلعًا تباع وتشترى لهدف الربّح المادي فقط، فصنعها لم يعد بيتيًا دائمًا، وبات يخضع لشروط السوق.

الخياطّة سها عادي التي تجلس في مخيطة صغيرة في مدينة رام الله تقول: «في السابق، كانت المرأة الفلسطينية تصنع الثوب في المنزل، أما اليوم فقد ظهرت أصناف أخرى من الملابس المشابهة تباع في المحلات ومنها (العباءة) التي تباع بسعرٍ أقلّ وتتماشى مع الموضة بشكل أكبر، فقلّ الطلب على الثوب الفلسطيني».

وعند سؤالنا عن سعر الثوب الفلسطيني الذي تصنعه، أجابت عادي: «الأسعار تتفاوت حسب كمية الحرير والعمل المتقن الذي يطلبه الزبون، فهناك ثوب سعره 500 شيقل، وآخر سعره 4 آلاف شيقل، وذلك يعود للزبون ورغباته، ونحسب نسبة الربح من خلال مراعاة مراحل عملية صنع الثوب، فالأولى الحياكة والثانية التركيب والأخيرة عرض الثوب وبيعه».

في محلّ لبيع التراثيات في مدينة رام الله، يتفاخر صاحب المحلّ بأنه يملك أجود وأقدم الأنواع من الأثواب الفلسطينية والقطع التراثية، إذ تعود بعض سلعه إلى 60 أو70 عامًا من الصنع، وسعر أحد الأثواب الفلسطينية المعروضة لديه يبلغ 14 ألف شيقل!. وحسب قوله، فإن هذا الثوب «فلسطيني الأصل، وبقية الأثواب تحاكي وتقلّد مظهره، فسعره فيه». أي أن ما حدد سعر الثوب الفلسطيني هنا قِدم وأصالة صنعه وليس ثمن المواد الخام أو تكلفة مراحل التصنيع.

محمد صافي (25 عامًا) يقول: «أنا كزبون لو عرضت عليّ قطعة خشبية تراثية، فإني لن أدفع لأجلها الكثير، لأن هذه الأشياء باعتقادي لا تكّلف صانعها الكثير ولا تأخذ جهدًا كبيرًا كذلك». ودعمًا للرأي نفسه، يقول مالك عثمان (36 عامًا): «لماذا أشتريها بمبلغٍ عالٍ، وأنا لن أستفيد منها سوى المظهر؟ فبدائل هذه السلع التراثية كثيرة».

الصانع ربحي علان (50 عامًا) الذي يحاكي في صناعاته الأدوات التراثية القديمة له رأي مخالف، إذ يشير إلى أن «عمل الأدوات أو الأواني الخشبية التراثية يتطلب جهدًا ومهارةً عاليةً، فالمسألة دقيقة للغاية وتحتاج إلى ساعات من العمل لكي تخرج بقطعة صغيرة على شكل خارطة فلسطين أو وعاء خشبي قديم». ويكمل: «لا يقدّر الزبائن جهدنا، فيماطلون في دفع ثمن السلعة رغم أننا لا نربح منهم الكثير».

وعن الفئة التي يستهدفها صانعو الأدوات التراثية، يقول علان: «نحن نصنع التراثيات لأي زبون، مهما تكن هويتّه، فالنشاط السياحي ضعيف للغاية، ونعتمد على المعارض أو الحفلات التي تحيي الجانب التراثي لكي نبيع بعض أشغالنا اليدوية للفلسطينيين عمومًا، وبعض السياح الأجانب، ولا نفرّق في السعر بين الاثنين».

* طالب في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

ثوب تراثي مطرز سعره 4 آلاف شيقل.

أين موقع الإنسان في العالم التقني؟

محمود الفطافطة

خلال البحث عن إجابة هذا السؤال، تبين وجود اتجاهين متناقضين: الأول يرى أن التقنية هي المحيط الذي يسبح فيه الإنسان المعاصر، والماء الذي يستحم فيه، والوسط الذي يترعرع فيه. ففي عالم التقنية، الإنسان لا خيار له فيه ولا مهرب له منه. ففيه تُشبع الرغبات وتُروى الحاجات. بل يمكن القول إن الحاجة تولد لأن تلبيتها تكون ممكنة تقنيًا، ويجب ألا نتصور أن الحاجات توجد قبل التقنية، بل التقنية هي التي تولد الرغبات وتجعل إشباعها ممكنًا. فصناعة الترفيه مثلاً تخلق الحاجة إلى الاستمتاع.

هذا الاتجاه مثل نقيضه الآخر لا يتحدث عن موقع الإنسان في الإطار التقني إلا ويربطه بمسألة «الحرية التقنية»، طارحاً سؤالاً مؤداه: هل ثمة علاقة بين التقنية والحرية؟ وهل أمام الإنسان المعاصر مهرب من التقنية إلى الحرية؟

أصحاب هذا التوجه يؤكدون أنه لا وجود للحرية في العالم التقني، لأن الاختيار بين إمكانات متعددة لا يُعتبر حرية، فالمرء ليس حرًا لمجرد الاختيار بين آلاف الأطباق، بينما يمكن أن يكون حرًا حتى لو لم يخير سوى في طبق واحد. ما يضعه أمامي العالم التقني من اختيار بين شيئين لا يعني إطلاقًا أن باستطاعتي ألا أختار أيًا منهما. أن أستهلك إما هذا المنتج أو ذاك لا يترك لي حرية أن أرفضهما معًا، فلا بد لي أن أستهلك في كل الأحوال.

بعض أصحاب هذا الرأي يؤكد أنه لا يمكن الحديث في المجتمعات التقنية المعاصرة عن الحرية بقدر ما يمكن الحديث عن الاستلاب، فالإنسان لا يملك أفعالاً بل فقط ردود أفعال، وللنظام التقني اليد الطولى فيما يختاره. بعبارة أخرى: ليست اختباراتنا واقعية فقط، بل تحتوي على ما يضعه المجتمع التقني بين أيدينا.

الحديث عن الاستلاب بمفهومه الماركسي يعني اغتراب الإنسان عن ماهيته الإنسانية بسبب انفصاله عما ينتجه بقوة عمله، ويصير تابعًا للآلات التي يخترعها بدل أن يجد فيها تحققه الذاتي. ويتجلى استلابه الأساسي في تبعيته للآلات التي يخترعها، ومنها نظم الإعلام والمعلومات، التي تأتي الإنترنت على رأسها.

في مقابل هذا الرأي، نجد رأيًا متناقضًا لا يرى في الإنترنت مجرد آلة سالبة لحرية الإنسان، وإنما يرى فيه مناسبة للتواصل الاجتماعي وفرصة لنسج علاقات، سواء على شكل صداقات أو اهتمامات، أو هواجس اجتماعية أو بيئية أو سياسية، أو قواسم مشتركة مهنية أو استهلاكية.

أصحاب هذا الرأي يدللون على حجتهم من خلال النجاح المنقطع النظير الذي لقيه «الفيسبوك»، الذي ساهم في تكوين رأي عام عالمي، وإقليمي، وحتى وطني، كما يمكن القول إنه وفر فضاءً وحيزًا عامًا افتراضيًا عزز من تداول الرأي والمناقشة.

وبين هذا الرأي وذاك نقول: رغم أن الأفراد في مجتمعات الاتصال أصبحوا متحررين من كثير من أشكال الإكراه، إلا أنهم بالمقابل صاروا محاصرين في زواياهم المنعزلة وفقدوا حس الاتصال مع الآخرين، وتعترضهم صعوبات في عقد صلات اجتماعية. فالاتصال لا يروي ظمأ التواصل. فضلاً عن أن «العزلة التفاعلية» صنعت الأفراد ذرات معزولة، وساهمت في تفكيك العلاقات الاجتماعية.

إن عالمًا بلا إكراه وبلا حدود هو بحد ذاته عالم مليء بالإكراهات والقيود، وفي مقدمتها أن الفرد يجد نفسه محاصرًا في عزلة قاتلة.

«الحال» تحاور فنانة فلسطينية وصلت العالمية

فالنتينا أبو عُقصة: السينما والمسرح والدراما حرّضت على انتفاضات العرب

حوار: عبد الباسط خلف

تجمع الفنانة الجليلية فالنتينا أبو عُقصة، بين المسرح والسينما والشعر، واستطاع عملها الذي وثق لتجربة الحركة الأسيرة (أنا حرة) أن يصل إلى العالمية، إذ اختير من بين 600 نص لكاتبات حول الدنيا، في عملية امتدت أكثر من عام، ليكون حاضرًا مع 100 عمل تمثل 30 دولة.

ولدت في قرية معليا في الجليل الأعلى شمال فلسطين عام 1967، وتعيش في حيفا مع زوجها المقدسي رومل عبد النور ووليديها: ناشد ويمان. وعرضت (أنا حرة) في الولايات المتحدة وأوروبا، وشاركت في مهرجانات عربية ودولية. تحاورها «الحال» في لقاء تدخلت وسائل الاتصال الحديثة لإكماله. وهنا نصه:

* يصفونك بالقوية، والمشاكسة، والثائرة والمتمردة. كيف انعكس هذا على فنك؟

- لا شك أن الصفات الشخصية الطاغية على الفنان تنعكس على اختياراته وتأديته، والأهم مشاريعه، وأجزم أن هذه الصفات كونت خصوصيتي وخصوصية أعمالي. ونشاطي كان أيضًا قويًا ومشاكسًا ثائرًا ومتمردًا. كما يلعب المنشأ والطموح والاجتهاد دورًا أساسيًا في تشكيل مستوى الفنان وهيبته.

* هل سبب لك هذا معاناة، في ظل صورة نمطية تفرض على المرأة العربية؟

- في الحقيقة لم تكن لدي معاناة تتصل بكوني امرأة. فوالداي وقفا دائمًا إلى جانبي، وكذا زوجي وأولادي. وأعتبر ذلك نموذجًا، ولكن هذا لا ينفي وجود معاناة بلون مختلف، ولا يلغي أن ثقافة محيطي تتعاطى مع كوني امرأة، إلا أنني لم أقبل للحظة أن يتحول هذا إلى معاناة بل إلى تحدٍّ وانطلاق.

* احترفت المسرح عام 87. هل أثرت تجربة الطفولة في رسم مسارك، وتحديد وجهتك؟

- بالطبع، فقد نشأت بين عشرات الكتب لأب ماركسي، وأم تقيدت بتعاليم الإنجيل، ترعرعت في فقر مدقع، وكل هذا في حارة الكنيسة التي لاصقت بيتنا تمامًا، في قرية جليلية صغيرة، وظهرت لدي ملكة الكتابة، وأيضًا مواهب التمثيل والرسم منذ الصغر. في ظل مكوناتي الذاتية والعوامل حولي، وما تحمل من تناقضات صارخة جعلت لمكونات شخصيتي، ولمساري ووجهتي، خطًا واضحًا، يتسم بالاختيارات الدقيقة والناضجة.

* «الحكواتي».. ماذا تعني لك، وهل استفزت عالمك المسرحي؟

- كانت حلمًا لطفلة صغيرة في قرية نائية، تراقب هذه الفرقة الآتية من القدس البعيدة عبر شباك صغير لقاعة مسرح القرية، اعتلته حجرًا على حجر. ولما لم أكن أقبل أن تبقى أحلامي أحلامًا فقط، حملت أمتعتي في مقتبل عمري في خطوة شجاعة لاقتحام عالم تلك الفرقة، التي كانت في حينها قمة المسرح الفلسطيني محليًا ودوليًا، بعد عام من دراستي للمسرح.

* لك تجارب أيضًا في السينما الفلسطينية. ماذا عنها؟

- هي تجارب متواضعة، خضتها من باب التعرف على هذا العالم، وأتت بعد مشاركتي بأول مسلسل تلفزيوني فلسطيني، وثمة محاولات لمخرجين وعلى مدى سنوات طويلة لأتواجد في السينما، إلا أنني اعتذرت، ولم تشدني هذه الشاشة كممثلة، وتيقنت أكثر أنني لست منها بعد تجاربي الثلاث، كما أردت الحفاظ على ما وصلت إليه في المسرح مقابل مساحة الأدوار غير المتاحة لتمكنني التفوق في السينما، وهي ضئيلة.

* ما هي أبرز المحطات التي شكلت سيرتك ومسارك المهني؟

- لكل مآسي شعبي التي عايشتها محطة بارزة، ابتداءً من صبرا وشاتيلا، إلى حرب تموز 2006 والعدوان على غزة. وهناك محطات مفصلية، الأولى احتراف المسرح والانتقال من قريتي إلى تل أبيب عام 1985، والثانية الانضمام إلى «الحكواتي» بعد عامين، ثم انتفاضة الحجارة، والزواج في القدس عام 1991، والأمومة، ثم اتفاقية أوسلو، والانتقال من رام الله إلى حيفا، وإصابتي عام 2002 في مخيم جنين.

* فالنتينا شاعرة أيضًا. ماذا عن قصيدتك الأولى؟

- كانت وعمري 12 سنة، وكنت بارعة أيضًا في كتابة الإنشاء، فقد أحببت القراءة، وحفظت كتبًا كاملة لمحمود درويش ونزار قباني ومعين بسيسو وآخرين عن ظهر قلب. ثم نشرت قصيدتي الأولى عام 84 في جريدة الاتحاد، وصحف أخرى لاحقًا. كما ألقيت قصائدي حتى عمر 24 في المناسبات الوطنية والاجتماعية، ولي إنتاج شعري بعنوان (مرآة).

* اختطفك المسرح. فأين الشعر والسينما اليوم؟

- الشعر موهبة ولا أؤمن أنه يمكن أن يكون مهنة، والسينما بقدر ما تشدني كمشاهدة، بقدر ما دفعتني تجربتي فيها، للتأكد من أن عالمي هو المسرح، الذي له عندي عشق أبدي وأزلي، وبقدر هذا العشق المقدس، قبلت الكيف على الكم رغم الألم الذي يعتصرني، في قلة الإنتاجات وعدم وجود المساحة اللاحقة لتكثيف الإبداعات.

* أنت فنانة ومناضلة، هل جسدتِ تفاصيل إصابتك في أعمالك، وهل العجز الذي يلازمك في يدك، يزيد الإصرار على التحليق؟

- في عامي التنقل بين المستشفيات والإحساس الأولي بالعجز، لم أقبل ما عرض علي أبدًا من أفكار ومقترحات كمسرح أو فيلم؛ لتحويل حادثة إصابتي إلى إنتاج فني، لأنه برأيي تفكير مبتذل وسخيف، وقدمت لي اقتراحات أيضًا خارج حدود الوطن، رفضتها من حيث المبدأ، ولم أفكر أن أحول الخاص في حياتي إلى عام كفن؛ لأنني مدركة أن إصابتي، وبكل ألم، لا تقارن مع مآسي الآلاف الذين يستحقون إبداعاتي.

* رسمت «أنا حرة» تفاصيل تجربة الحركة الأسيرة، بدقة وعناية، فقد أخرجتها وقمت بدور الأسيرة التي تتعرض للتحقيق. كيف تحبين أن تقدمي لها بطاقة تعريف؟

- المسرحية صرخة كل أسيرة سياسية عاشت أو لا تزال تجربة المعتقل، صرخة لم تصل إلى العالم من قبل وهي تحية صمود لكل أسرى الحرية الفلسطينيين وغيرهم.

* ماذا يعني دخولك بنص (أنا حرة) إلى العالمية؟

- هذه شهادة بامتياز لمستوى المسرحية، وثمرة إتقان واحترام هذه المهنة، بعد عملي في المسرح لأكثر من عشرين عامًا. ولهذا الوصول دلائل النضوج بكافة أبعاده، ويقين بتفوقي على واقعي، وهي أيضًا رسالة الخاص فينا إلى العام في مثل هذه القضية الحساسة جدًا.

* تنقلت بين الجليل والقدس ورام الله، وتستقرين اليوم في حيفا. أين هو وطنك؟

- السفر عندي مثل القراءة، والتأمل أثناء الأسفار شكل مفاهيمي لمعنى الوطن والانتماء. أنا عربية فلسطينية فخورة بهذا القدر، وفلسطين عندي ليست مكانًا فقط، وأعيش فلسطينيتي وهموم شعبي أينما حللت، وأسعى دوما لتحويل خصوصيتها الدقيقة إلى العالمية، فالإنسان هو جوهر الوطن وشكله.

* كيف يمكن أن نُقدم الفن في ظل أزمات الخبز والعوز؟ وهل نطعم الجياع أغنية ومشهدًا مسرحيًا؟

- نُقدمه حقيقة، نكشف فيه عيوبنا دون تململ، ونعم، تسبق «كل ثورة ثورة كلمات».

* هل أثر ربيع العرب على فالنتينا؟

- أثر هذا المذهل غير المتوقع في زمني، ولا أسميه ربيعًا عربيًا البتة، وبقدر ما آمنت بحتمية ثورة الشعوب وانتصاراتها، لا أزال أؤمن أننا مستهدفون كشعوب وحضارة، وما زلت أؤمن بدور الإمبريالية والصهيونية العالمية في اللعب بمسارات واقعنا.

* كيف تشاهدين المسرح والسينما العربية في ظل انتفاضات العرب؟

- في الحقيقة لست على اطلاع، أو ربما الأصح ليس هناك لافت حتى اليوم عن الإنتاجات الخاصة في ظل ما سميته انتفاضات العرب، ولكنني أستطيع الزعم أن مئات الأعمال المسرحية السينمائية والدرامية تنبأت وحرّضت على تلك الانتفاضات، وقد شعرت بالفخر والتباهي لاختياري خلاصة عمل عنونته بـ(أنا حرة) يحمل المعنى الفلسفي للحرية قبيل انطلاق هذا الزخم.

* ماذا عن صلتك بالعالم العربي، وهل من حصار أم أن النوافذ مفتوحة؟

- صلتي بالعالم العربي تتسم بالكثير من التناقضات، بينما أنا أنتمي إليها، وأتابع عوالمها وفنها وفنانيها بشغف، وشاركت في مهرجان قرطاج، وفي عروض بعمّان، ومؤخرًا في المغرب، وتربطني علاقات مع مبدعين؛ إلا أنني لم أدرك العالم العربي، ولا يزال يحاصرني ويغلق النوافذ والأبواب، وهذا ثمن لجواز سفر أزرق يُفرض عليّ!

* هل من جديد بعد «أنا حرة»؟

- هناك أفكار ومشاريع طور التعمق، فانا أنتج مشاريعي منذ أكثر من عشر سنوات، ويشدني في هذا الوقت عمل للأطفال أعده من رواية عالمية.

* لو لم تكن فالنتينا شاعرة ومسرحية وسينمائية، ماذا كانت ستختار أن تكون؟

- كتبت في مذكراتي عندما بلغت التاسعة، وما زلت أحتفظ بها: أريد أن أصبح فنانة مشهورة، طبعًا أنا مشهورة نسبيًا أو إلى حد ما، ولكنني انتزعت لقب فنان من واقع مرير. ونجحت إلى حد ما في مجال الأعمال، وأسست ورفيق دربي شركة خاصة بالدعاية والإعلان، قبل زواجنا، وهي مصدر رزقنا اليوم، ومن خلالها نساند مشاريعي الفنية قدر المستطاع.

«أرض الدراما بلا دراما».. تحديات في حالة فلسطينية لم تنجح بعد

إباء أبو طه *

تعد الدراما إعلام الشعوب النافذ، وأداة من أدوات الفعل الإعلامي التي لا يقل تأثيرها عن المدفع أو الطائرة، فمن خلالها قد يتم تأسيس الرواية التاريخية، القائمة على «سلطة الصورة الناطقة»، لكن الحالة الفلسطينية ما زالت مكسورة في هذا الجانب وسط تعقيدات كثيرة وانتقادات توجه في أكثر من اتجاه. ولسان الحال يقول: «من لا دراما له، لا تاريخ له».

الكاتب رجب أبو سريّة تحدث عن غياب إعلام ثقافي مؤثر، يواكب الإنتاج الدرامي المحلي بالتغطية الإعلامية، عبر التقارير في مراحل الإعداد والتصوير ومن ثم خلال العرض وبعده، ودعوة الجهات الفلسطينية إلى شراء ما ينتج محليًا من قبل المحطات والإذاعات والمواقع، بثمن التكلفة كحد أدنى، وعرضه على الجمهور المحلي، بالإضافة إلى إقامة مهرجانات عرض سنوية للأعمال الدرامية وتوزيع الجوائز التشجيعية والتكريمية.

تراجع الدراما الفلسطينيّة

وأشار السيناريست والكاتب الفلسطيني رياض سيف، إلى أنّ واقع الدراما الفلسطينيّة في تراجع، لأسباب كثيرة منها: عدم اهتمام المؤسسات الإعلامية الرسمية بالدراما وأهميتها لتدعيم القيم المجتمعية وطرح القضية الفلسطينية، والتكلفة المادية للعمل الدرامي التي قد تصل إلى مئات آلاف الدولارات، بالإضافة إلى فقر الكفاءات الفنية والكوادر الدرامية لعدم ممارستها العمل الدرامي المحترف وتقوقعها فى إطار التجريب دون تطوير أدواتها.

وأضاف أن «الدراما الفلسطينيّة تجربة جديدة ومنغلقة، فهي في أحيان كثيرة تكون موجهة بتمويل أجنبي ومقاسات معينة على الكاتب التقيد بها، وهنا الطامة الكبرى في تأطير الإبداع ضمن شروط مسبقة ومواضيع تصل أحيانًا إلى حد التسطيح. أما كونها تجربة جديدة، فمرد ذلك إلى الاحتلال الذي عطّل هذا الجانب الفني. وأما كونها تجربة منغلقة، فذلك لأنها بدأت من الصفر غير آخذة فى الحسبان تطور الدراما التلفزيونية في الوطن العربي، فهي لم تسع لعمل احتكاك حقيقي بين التجربة الدرامية الفلسطينية والتجربة الدرامية العربية، للاستفادة من تطور النص وطريقة الإنتاج وتطور الرؤيا الإخراجية، فالمقلق أن نتعامى أحيانًا كثيرة عن الحقيقة، ونرى في تجاربنا الأولى التي لم تنضج أصلاً أنها تستحق المنافسة والعالمية».

وحول صناعة دراما فلسطينية مستقرة ومستدامة لا باعتبارها مجرد طفرة إنتاج مؤقت، يرى سيف أنّ الحدث الفلسطيني هو الحدث الدرامي الأسخن، الذي لم تشهده بعد شاشات الوطن العربي من حيث غزارة الموضوع. وأضاف: «إنّ الحاجة إلى صناعة دراما تلفزيونية فلسطينية، هي حاجه لتعريف العالم كله بإنسانية الفلسطيني، الذي شوهت وسائل الإعلام صورته من خلال تغطياتها المغرضة التي تبين الإنسان الفلسطيني وكأنه خلق للدم والفوضى، وليس إنسانًا حضاريًا يموت من أجل الحريّة والاستقلال».

وأشار سيف إلى ضرورة شراء تلفزيون فلسطين والقنوات الفلسطينية الرسميّة للمنتج الفلسطيني كأحد أهداف الفعل الوطني، إذ إن مسلسلاً ناجحًا ينقل القضية

عماد الأصفر.

رياض سيف.

نبيل الشوملي.

الفلسطينية والهمّ الفلسطيني إلى العالم العربي والخارجي يضاهي مئات الندوات وآلاف المطبوعات.

من جهته، ذكر المخرج نبيل الشوملي أن صناعة الدراما المستدامة تكون من خلال التأهيل التقني والفني، ومن خلال الحصول على الأجهزة والمعدات الإنتاجيّة، وتأسيس شركات إنتاج قادرة على قيادة العمل الإنتاجي بعيدًا عن أحادية المنظور الربحي، وتابع: «لا بد من تشكيل تنظيم هيكلي ذاتي يتمثل باسم هيئة عليا لصناعة الدراما الفلسطينية، يكون على عاتقها النهوض بالدراما الفلسطينيّة، شريطة ألا تكون بديلاً عن المنتجين».

غياب التمويل

يرى الأديب والشاعر المتوكّل طه أنّ «عدم توفير السينمائيين المسرحيين والتشكيليين الفلسطينيين تمويلاً كافيًا لعروضهم، هو ما يدفع البعض منهم إلى التوجه للتمويل الأجنبي، الذي يفرض شروطه وإملاءاته على طبيعة العمل، ما يوقعهم في فخ التطبيع». وتابع: «الصهيونية العالمية مثلاً تنفق ما قيمته 3 مليارات دولار سنويًا، للإنتاج الدرامي في العالم، لجأت إليه كوسيلة لتعميم وتكريس رواياتها عن نفسها وأعدائها، لتقول للعالم إنّ الضحية الوحيدة هي اليهود، فالدراما هي خط الدفاع الأول بالنسبة لها».

الدراما والقطاع الخاصّ

يرى الإعلامي والمنتج إيهاب الجريري أنّ القطاع الخاص يمكنه أن ينهض بواقع الدراما من خلال الاستثمار، وذلك في سبيل الوصول إلى مرحلة يصبح فيها القطاع الدرامي قطاعًا استثماريًا، أي «صناعة الدراما». وأضاف: «إن مبادرات القطاع الخاص للاستثمار في مجال الدراما قليلة».

من جهتها، أكّدت وزيرة الثقافة سهام البرغوثي أنّ الوزارة تدعم وفق الإمكانيات المتاحة، حيث إن المسؤولية الكبرى تقع على هيئة الإذاعة والتلفزيون، وأضافت: «لا بد أن يكون هناك إنتاج سينمائي مشترك بين القطاع العام والخاص، بالإضافة إلى شركات إنتاج خاصّة تتولى متابعة هذا الموضوع».

من ناحيتها، أشارت مديرة العلاقات العامّة في وزارة الإعلام بثينة حمدان، إلى أنّ العمل المشترك بين القطاعين الخاص والعام يشكّل بيئة استثمارية جديدة بالنسبة للمنتج، ومشروعًا استثماريًا يتم خلاله دعم الاقتصاد الوطني وإيصال القضيّة.

الدراما والمؤسسات الرسمية

مدير البرامج في تلفزيون فلسطين عماد الأصفر، يرى أنّ ظروف الحصار المالي والاعتداءات أثرت على واقع الدراما الفلسطينية، وتابع «حركة ازدهار الدراما محدودة نظرًا للحاجة إلى ممثلين، وغياب شركات إنتاج، حيث إنّ محاولات إنتاج الدراما الفلسطينية تحتاج إلى شريك في الإنتاج وداعم في التمويل مع القطاع الخاص، ففي الوقت الحالي، هناك إنتاج درامي بسيط يتمثل في المجال الكوميدي مثل «وطن ع وتر»، وإسكتشات هنا وهناك.

* خريجة في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

أسئلة عن كامب ديفيد وعدم الدقة وغينيس ودرويش

وداد البرغوثي

هل انتخب المصريون كامب ديفيد؟

سؤال انتظرنا جوابه ونحن نتابع نتائج الجولة الأولى من الانتخابات، وانتظرناه على نار الصبر ونحن نتابع الثورة المصرية وما ستؤول إليه. للأسف الشديد، الجواب نعم. انتخب المصريون كامب ديفيد، فلا أحد من دستة المرشحين، خاصة الخمسة الكبار طرح صراحة إلغاء المعاهدة، أو اقترب منها، اللهم إلا إذا استثنينا الناصري حمدين صباحي الذي تعهد فيما لو فاز بقطع الغاز المصري عن تل أبيب وتزويد المصريين بالغاز الطبيعي خلال ثلاث سنوات. وحاز صباحي على المرتبة الثالثة. صحيح أن الفلسطيني يتوق إلى محاربة الإسرائيلي ومقاطعته من قبل كل العرب، بمن فيهم، بل وأولهم الفلسطينيون أنفسهم. لكن كامب ديفيد عادت على الشعب المصري بالوبال بكل مكوناته من فقر وذل، وانتشار الفساد واللصوصية من قبل حفنة «كوّشت» على مقدرات البلد وغير ذلك الكثير. وإسرائيل منذ أن خرجت جماهير المصريين إلى ميدان التحرير، بدأت تعرب عن خوفها على مصير عملية السلام. فكامب ديفيد بقرة حلوب بالنسبة لإسرائيل وأميركا، لكنها مسلوبة بالنسبة للمصريين. رحم الله الفنان الشيخ إمام وأطال عمر توأمه ورفيق رحلته الشاعر أحمد فؤاد نجم، اللذين نتذكر ونسمع أغنيتهما الهزلية السياسية التي دخلت قلوبنا في مطلع الثمانينات وما زالت لم تغادرها:

البقرة حلوب.. حاحا تحلب قنطار.. حاحا
لكن مسلوب.. حاحا من أهل الدار.. حاحا

لماذا لم يقل الحقيقة؟

بعيد انتهاء إضراب الأسرى عن الطعام، استضافت فضائية فلسطينية مسؤولاً فلسطينيًا، وخلال ثلاث دقائق، جانب الصواب مرتين: الأولى حين قال «نحن كنا على اتصال دقيقة بدقيقة وحرفًا بحرف مع الأخ عزام الأحمد في القاهرة، ونتابع تفاصيل الاتفاق»، علمًا بأن المسؤول المقصود ووزير شؤون الأسرى عيسى قراقع ورئيس نادي الأسير قدورة فارس والنائب خالدة جرار وآخرين كانوا جميعًا في خيمة الاعتصام مقابل بلدية البيرة في انتظار معلومات رسمية تخولهم الإعلان عن إنهاء الإضراب، وكانوا كلهم يتخبطون ويتلججون كلما سألهم أحد عن إنهاء الإضراب ويقولون أن لا معلومات لدينا سوى ما يرشح عن وسائل الإعلام. وبعد ثلاث ساعات تقريبًا، أعلنوا في مؤتمر صحافي عن الاتفاق بعد أن أعلنته كل وسائل الإعلام نقلاً عن غزة.

أما المرة الثانية، فكانت حين سألوه عن الاعتقال الإداري، فاستهل جوابه: «بصفتي أول معتقل إداري.. إلخ». المسؤول المذكور عمره يقارب عمري إن لم يكن أصغر مني. وأذكر أن المرحوم والدي اعتقل لستة أشهر اعتقالاً إداريًا في 1971/6/29، واعتقل مع عشرات غيره في 1974/3/13 حتى 1976/3/10 اعتقالاً إداريًا. ولعل سجلات الصليب الأحمر ومذكرات المحامية فيليتسيا لانغر وصحافة ذلك الوقت خير دليل وشاهد. فكيف ينكر هذا المسؤول التاريخ ويعتبر نفسه أول معتقل إداري؟

هل غينيس هدف أم هوس؟

هذا هو السؤال الثاني. بالأمس القريب جدًا، دخلنا غينيس بأطول مائدة لنعزز صمود المقدسيين، وقبلها التبولة والكنافة. لقد دخل الفلسطينيون غينس في أشياء كثيرة تثبت صمودهم، دخلوها بأقدم أسير وهو نائل البرغوثي وابن عمه فخري اللذين مكثا في السجن 34 سنة متتالية؛ ودخلوها بأطول حكم في التاريخ بحكم عبد الله البرغوثي بـ67 مؤبدًا وخمسة قرون؛ وكان يمكن أن يدخلوها عام 1938 بأسرع محاكمة في التاريخ لو كانت الموسوعة موجودة. لكنهم سبقوها، سبقها الشيخ الشهيد فرحان السعدي الذي اعتقله الإنجليز يوم الأحد وحكموه بالإعدام ونفذوه الحكم في الأحد الذي يليه. أسبوع واحد فقط اعتقل فيه الرجل وحوكم وأعدم وهو في الثمانين من عمره.

موسوعة غينيس دخلها كثيرون، بأطول أظافر وأطول شعر وأطول قبلة، وأكبر كم من القش في الفم وأكبر عدد قواقع على الوجه، ودخلها كثيرون بأشياء كثيرة مثيرة للعجب ومثيرة للقرف والاشمئزاز، وها نحن ندخلها الآن بأطول مائدة، ويحاول البعض دخولها بأكبر رغيف مسخن وأكبر طبق مفتول وغيره مما لذ وطاب من المأكولات، فيما أسرانا يضربون عن الطعام. عجبي.

هل فكر محمود درويش وهو يكتب قصيدته؟

«وأنت تعد فطورك فكر بغيرك لا تنس قوت الحمام»؟ هذا المطلع الدرويشي الذي أحبه كثيرون وأنا واحدة منهم، وعلقوه على جدرانهم أو على صدورهم وظهورهم وغناه سميح شقير لأنهم رأوا فيه فلسفة تعزز الحس الإنساني الجماعي في مواجهة الأنانية، وهي كذلك. لكن سؤالاً يخطر على بالي هذه الأيام كلما قرأت أو سمعت القصيدة أو الأغنية وهو: هل فكر محمود درويش وهو يكتب قصيدته في كم واحد يعد فطوره بنفسه دون أن يعتمد على أمه أو أخته أو زوجته أو الوجبات السريعة الجاهزة؟ للأسف إن من يعدون الفطور أو يعددن الفطور هن الأمهات والزوجات وعمال المطاعم، فيما يتناوله الآخرون على البارد المستريح، حتى دون أن يفكروا بمن أعده لهم! وربما كثيرون يفتعلون «طوشة» بسبب فطور لم يجدوه معدًا جاهزًا. فهل يفكر هؤلاء بغيرهم وبقوت الحمام؟

«والله لدفع عنك».. ثقافة يراد بها الشهامة لكنها تربك أحيانًا

باهر حامد*

«وصلت إلى موقف السيارات العمومية للذهاب إلى البيت بعد يومٍ طويل في الجامعة، ولا يوجد معي سوى 10 شواقل. انتظرت قليلاً فتحرك التاكسي بعد امتلائه، فدفعت 7 شواقل أجرة الطريق، وبعد لحظة، سمعت شخصًا أعرفه يجلس خلفي يقول للسائق «اخصم لو سمحت من الـ50 شيقل عني وعن الشب اللي قدامي»، فطلبت من السائق ألا يفعل، فأنا دفعت مسبقًا وشكرت صديقي الذي يصغرني بـ3 سنوات، وشعرت بعدها بالإحراج الشديد، لأنني لم أبادر بالدفع عنه للسبب الذي ذكرته».

هذه السلوكيات والعادات التي أصبحت ترسم علاقاتنا وتضع معايير جديدة لكيفية التعامل مع بعضنا، بل أصبحت تثير تساؤلات نخجل من طرحها. لماذا نمارس هذه العادة ومن أين جاءت؟ وهل هي عادة نحن بحاجة إليها؟ وهل هذه العادة ترضي الطرفين؟ لن يصدق البعض عندما يسمع أن مشاكل كثيرة بين العائلات والأصدقاء سببها «أنا دفعت عنك».

كرم ولكن!

عمر أبو عليا (24 عامًا) يقول: «هذه العادة منتشرة، خصوصًا في مجتمعاتنا القروية، وهي محرجة جدًا وتسبب تكلفة عالية، وخصوصًا للطالب. ولكن من زاوية أخرى، فهي تشير إلى وجود الكرم ولكن ليس معنى هذا أن يصل الأمر لدرجة تؤثر على الشخص الدافع، ليجد نفسه بعد الخروج من التاكسي مفلسًا».

ويتفق مع أبو عليا حارث يوسف (22 عامًا) طالب الإعلام في جامعة بيرزيت، لكنه يقول: «في نهاية الأمر يظل الموضوع محرجًا للغاية، حيث إنك اليوم تدفع عني وغدًا يكون الدور عليّ، حتى لو لم يكن معي سوى أجرة الطريق». ويضيف: «عشت موقفًا محرجًا لن أنساه، حيث صعدت للتاكسي فوجدت كل الركاب بنات عمي وأبناء عمي، فدفعت عنهم كلهم». ويضيف: «عندما يدفع عني شخص أكبر مني عمرًا، فإنني أشعر أنني لا أمتلك المسؤولية عن نفسي.

«ابن عمي ما دفع عني»

يسرى ريماوي (21 عامًا) تخصص كيمياء قالت: «أنا ضد هذه الثقافة لأنك تضطر محرجًا للدفع عن الآخرين، فأجرة التاكسي من قريتي (بيت ريما) لرام الله 10 شواقل، وبالتالي عندما تدفع عن أحدٍ ما، فإن العبء يزيد عليك، حتى إن هذه العادة أصبحت واجبة، خصوصاً تجاه الأقارب، فبعض الفتيات نتيجةً للفهم الخاطئ تنظر لابن عمها عندما لا يدفع عنها وكأنه ارتكب إثمًا».

أما فراس فواقة (26 عامًا) تخصص علوم سياسية، فقال: «أنا ضد هذه الظاهرة لأن فعلها تعدٍّ على الحرية الشخصية، فكل شخص حر بنفسه ويجب ألا ينتظر الدفع أو من يدفع عنه في التاكسي. وبصراحة، الحالة المادية هذه الأيام تلعب دورًا في تصرفاتنا، والخوف أن تصبح الماديات شماعة للسلوك والتوصيف والتفضيل الاجتماعي».

هدوب أبو نجم (21 عامًا) تخصص إدارة عامة تقول إن كل شخص يجب أن يدفع عن نفسه حتى لا يكون هناك إحراج، وترى أن الظاهرة، على طيبتها، تتحول إلى معارك أحيانًا، خاصة إذا أتبعت بأيمان الطلاق على الدفع.

ممارسة دون رضى

عبد العزيز مناصرة (23 عامًا) تخصص محاسبة يقول: «أمارس هذه الظاهرة دون رضى، وأشعر بالإحراج الكبير لأنها غير منصفة عندما تمتلك المال وتدفع عن صديقك نتيجة للوضع المادي المريح، ولكن في المرة القادمة، يكون الدور على صديقك، مع العلم أن وضعه المادي قد يكون صعبًا جدًا، فهذه ظاهرة يجب ألا نمارسها، ولكن التغيير صعب جدًا ويحتاج إلى وقت طويل».

رانيا عيسى (23 عامًا) تخصص جغرافيا رفضت التصرف وقالت: «لا أقبل أن يدفع عني أحدهم لأنه يعرفني، أو أن أدفع عنه حتى لو كان من أقربائي، لأن التعامل فيما بعد سيكون محكومًا وفق هذا الموقف»، وتضيف: «الظروف الاجتماعية متشابهة إلى حد ما بين الناس في مجتمعنا، والحال واحدة، ولذلك، فكل شخص مسؤول عن نفسه ويجب ألا يضع نفسه أو غيره في موقف محرج».

* طالب في دائرة الإعلام بجامعة بيرزيت

هـكـذا كـنـا ...

إعداد: علي بطحة

في ذكرى هزيمة حزيران، تبقى المقاومة

هي الرد.. ليأتي بعدها تموز آخر..

الملصق: المقاومة هي الرد

عام 1967

جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية

الحال

رئيسة التحرير: نبال ثوابتة

هيئة التحرير:
عارف حجاوي، وليد الشرفا
وداد البرغوثي، صالح مشارقة
منال عيسى، عبدالرحيم عبدالله
علي الاغا، خالد سليم

الإخراج: عاصم ناصر

رسم كاريكاتوري:
عامر الشوملي ومراد دراغمة

التوزيع: حسام البرغوثي

هيئة التأسيس:
عارف حجاوي، عيسى بشارة
نبيل الخطيب، وليد العمري

تصدر عن مركز تطوير الإعلام

جامعة بيرزيت

هاتف 2982989 ص.ب 14 بيرزيت - فلسطين
alhal@birzeit.edu
المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها

السادة القراء، يسر مركز تطوير الإعلام بجامعة بيرزيت إعلامكم بأن جريدة الحال الشهرية الصادرة عنه، متوفرة في الضفة وغزة والقدس في مراكز التوزيع التالية:

بيت لحم
مكتبة عبيد الله - مركز المدينة
ميني ماركت الامل - باب زقاق
سوبر ماركت سوق الشعب - بيت ساحور
مكتبة الجامعة - بيت لحم
القدس
مكتبة البكري - شارع الزهراء
المكتبة العلمية - شارع صلاح الدين
سوبر ماركت الليداوية - البلدة القديمة

مكتبة دعنا - شارع صلاح الدين
نابلس
المكتبه الشعبية - شارع حطين
مكتبة دار العلوم - الدوار الرئيسي
سوبر ماركت مطاوع - المخفية
مكتبة الرسالة - شارع غرناطة
جنين
بقالة الدمج - مجمع الكراجات

سوبر ماركت المأمون - مدخل جنين
كشك ابو سيف
غزة
مكتبة فلسطين - شارع عمر المختار
مكتبة ابن خلدون - شارع الجلاء غزة
مكتبة طبيطي - شارع فهمي بيك غزة
مكتبة الاجيال - شارع تقاطع الوحدة
مكتبة الايام - منطقة الشمال

مكتبة العجرمي - جباليا
مكتبة القدس - رفح
مكتبة القدس - موقف التاكسيات دير البلح
مكتبة ابو معيلق - بجانب بلدية دير البلح
مكتبة عبد الكريم السقا - خان يونس
الخليل
سوبر ماركت الامانة - عين سارة
ميدان القدس - رأس الجورة

مكتبة الجامعة - الحرس
مكتبة عيسى ابو علان - الظاهرية
مكتبة الصحافة العربية - باب الزاوية
قلقيلية
ميني ماركت عناية
مكتبة الشنطي
ميني ماركت ابو الشيخ
المكتبة العلمية

اريحا
مكتب تكسي البترا - تحت البلدية
النبر سوبرماركت - الساحة العامة
مكتبة حتر - مركز المدينة
طولكرم
سوبر ماركت الاشقر
سوبر ماركت الصفا
محلات ابو راشد

رام الله
مكتبة الساريسي - المنارة
سوبرماركت الامين - المصيون
سوبرماركت الاصيل – الارسال
سوبر ماركت السنابل - بيتونيا
سوبر ماركت العين – الشرفة
سوبر ماركت الجاردنز - الطيرة
سوبر ماركت ابو العم - وسط البلد